

ايب لكارولن

من الكوخ الى البيت الابيض



١٩٨٩

ايب لنكولن

من الكوخ الى البيت الابيض

الهيئة العامة للكتبة الاسكندرية	
رقم الترخيص :	٩٧٣٠٧
رقم التسجيل :	٥٨٤٤

تأليف ستيفن لوف

ترجمة احمد كمال

الناشر
عكا الزاكتي

٣٨ شارع محمد الفاضل - ش. ١٤٠١
القاهرة

محتويات الكتاب

صفحة

٥	الفصل الأول : طفل نانسي
١٥	الفصل الثاني : التحميم المؤقت
٢٥	الفصل الثالث : الأم الجديدة
٣١	الفصل الرابع : التعليم على الحدود
٤٥	الفصل الخامس : المقر بالقارب في نهر السينسي
٥٧	الفصل السادس : حدود إيلينوي
٦٩	الفصل السابع : قرية « نيوسالم » وحرب الصقر الأسود
٨١	الفصل الثامن : صاحب المهن المختلفة
٩٥	الفصل التاسع : الأيام الأولى في مير نيفيلد
١٠٩	الفصل العاشر : عضو الكونجرس ويهام
١٢٥	الفصل الحادي عشر: بيت منقسم
١٤٣	الفصل الثاني عشر: لا حقد فهو أحد

ABE LINCOLN : LOG CABIN TO WHITE HOUSE

BY

STERLING NORTH

Published by Random House, New York

© Copyright 1956 by Sterling North

الفصل الأول طفول ناسي

« من الممكن تلخيص قصة حياتي في جملة واحدة ، وهذه الجملة نجدها
في مربية توماس جراي (التاريخ القصير والبسيط للفقير) . . . »

أبراهيم لنكولن

أسبرج دنيس هانكس الذي كان في التاسعة من عمره في الطريق المؤدى
إلى كوخ لنكولن قافراً فوق مستنقعات المياه التي تكسر فوقها الثلج
ومبتحلياً الأحاديث المتجمدة ، وسار حذاء الطريق المتعرج الذي يخترق التلال
التي تحد « بولين كريك » .

كان ذلك يوم الأحد ١٢ فبراير سنة ١٨٠٩ ، يوم يجب أن تظل ذكراه
مخلدة في التاريخ الأمريكي . وفي صباح ذلك الشتاء البارد لم يكن دنيس يهتم
بشيء إلا أن يولد لتوم و نانسي هانكس طفل أسمياه أبراهام .

وكثيراً ما جاء توم في هذا الطريق لزيارة عائلة لنكولن إذ أنه و نانسي
كانا ابني عم ، وكانا قد نشأ معاً في حضنة خالتهما وعالهما توم ويقس سبارو .
فلا يجب لذلك إذلاً أن أدب عائلة لنكولن أن تكون عائلة سبارو أول من
يرى الطفل .

وكان الدخان الأزرق يتصاعد من مدخنة كوخ لسكون عند ما دخل دنيس مندفعاً إلى الفسحة، وذيل قبعته المصنوعة من جلد الراكون يتطاير خلفه في الهواء ... وتعجب دنيس كيف سيكون شكل « إيب » الطفل . وبالرغم من أن دنيس لم يكن يهتم كثيراً بالأطفال إلا أن طفل نانسي كان حدثاً غير عادي .

وما أن رفع دنيس سقاية الباب ودلف إلى الغرفة الوحيدة في الكوخ المضطربة بنهب النيران حتى رأى الطفل لأول مرة راقداً إلى جوار أمه نانسي التي لم تفارق البسمة وجهها برغم تعبها، ذلك الطفل الذي سوف يصبح يوماً ما أحب رئيس لأمريكا .

وبعد سنتين كثيرة، عند ما أصبح دنيس هانكس رجلاً مستأناً كان يحب أن يروى ما حدث في ذلك الصباح البارد - وربما أضاف في حديثه إلى الحقائق بعضاً من تخيلاته كما يفعل دائماً الرجال الكبار في السن . ولكن مستمعيه لم ينسوا أبداً القصة كما حكاهم : « كانت نانسي راقدة في السرير تبدو على وجهها السعادة . وأشعل توم ناراً وغطى نانسي وطفلها بجلد دب اندفقتما » .

وكانت تيسي سيابو تحوم في البيت ، تقوم بعمل ما يمكن أن تقطعه امرأة لأم . وطفلها فقد « حمت إيب الصغير ولبسته ثيابه الداخلية والخارجية ، وطبخت بعضاً من التوت الجاف مع عسل النحل وغسلت الأواني ... » .

ومضت نانسي لدنيس أن يحمل الطفل الذي كان وجهه في لون الكرزي الأحمر ، ولكن دنيس بعد ذلك بدقائق أعطى الطفل الباكي إلى عمته تيسي قائلاً « خذيه يا عني فإنه لن يصبح شيئاً يذكر .. »

وكان يمكن لنبوءة دانييل أن تتحقق لأن أفراد عائلتي لنسكون وهانكس كانوا فقراء ولا يمكنهم أن يتصوروا أن هذا الطفل سيكون يوماً ما شخصاً عظيماً ومشهوراً .

وأما في السنة الأولى في المهد لا يحتاج إلا إلى الطعام واللباس والحب . ولم يكن يرى من مهد غير ضوء النيران ، وجملة المغزل تدور ووجه أمه الحنون فوقه ، وربما رأس والده ، توم ، النبيكولن ، ذا الشعر المشعث والوجه المكسود حيناً كان يأخذ بندقة الصيد من مكانها فوق المدفأة وغالباً ما كان يرى وجه أخته ساره التي كانت تبلغ من العمر عامين والتي كانت تنظر إليه بمحبة . وبين مهده وتضجك غالياً عندما كان يب يتسهم ، ويتسامل دائماً متى يكبر لب حتى يمكنها أن تلب معه وتعاذنه .

وفي السنة الثانية من عمره كان لب يمشي بقدر استطاعته معتمداً على يد أخته . ولا بد أنه قد زار نبع الماء الصافي الذي كان مأواه البللوري يخرج من كهف صغير جاريًا بين الأحجار الصغيرة المنقطة بالطحالب ، متسرباً في الأرض إلى المجهول عندئذ صوتاً موسيقياً رخياً .

وعندما أدرك أبراهام لنكولن مدارج الرجولة لم يكن يتذكر أي شيء . لا عن « مزرعة التبغ الخشبي » ولا عن مكان ميلاده في جنوب فورك بمقاطعة فولين كريك بجوار هورجنفيل . كانت أولى ذكرياته عن مزرعة أنغري . كانوا قد رحلوا إليها عندما كان عمره عامين ، لا تبعد كثيراً عن المزرعة التي ولد فيها . وبني توم لنكولن كوخه الخشبي هذه المرة في وادي نوب كريك الخصب واتخذ ظلال تل ولدزوه ، ولكن دانييل هانكس يذكر أنه لم يمض وقت طويلاً حتى أصبح لب يلعب مردياً خفاه من جلد الغزال وبطلونا طويلاً وقبصاً من السكتان وقبة من جلد الراكون ، ويذكر أيضاً أن لب لم

يتعجب أمه منذ تعلم المشي إلا أن تحتفظ بملابسه عليه . ويذكر أيضاً أنها كثيراً ما كانا يخرجان حفلة الأقدام . وأشد ما كان يحبه لي أن يخرج مع دنيس وأبيه والكلاب في صيد الراكون وفي تتبع النحل للعنور على خلاياه . وكانت هذه حياة مثيرة لطفل مثله ، كاد أن يفقد حياته يوماً ما في أحد مخاطرهما . وكان لب تسكون أيضاً يتذكر هذه الأيام إذ كانت أولى ذكرياته عن نوب كريك وعن مزرعتهم التي كانت تتكون من ثلاثة حقول في الوادي تحيط بها التلال العالية والوديان العميقة . ولا ينسى يوم السبت الذي زرع فيه الأولاد القمح في الحقل الكبير الذي كانت مساحته حوالي سبعة أفدنة . ويذكر هو بذور القرع يذرين في كل صف . وفي صباح الأحد هطلت الأمطار كثيراً على التلال ولم تسقط قطرة مطر واحدة في الوادي ، وزل سيل الماء من التلال على الحقل ومسحه ولم يبق فيه أي شيء . وفي هذا السيل كاد لب أن يغرق لو لا أن مديله صديقه أوستن جولاهير الذي كان قريباً منه لحسن الحظ ، غرس شجرة تعلق به لب فأنقذه .

واكتسب لب خبرته ومعلوماته عن العالم الخارجي الواسع في مزرعة نوب كريك حيث كانت تمر أمام باب كوخه القوافل الآتية من كمبرلاند وبها مسافرون من كل نوع وباعة متجولون ورواد يبحثون عن الأراضي الجديدة وعبيد عقيدون بالسلاسل . ويذكر أنه أعطى مرة بسمكة كانوا قد اصطادوها إلى أحد الفساکر المسرحين من حرب ١٨١٢ ، وكان دائماً يرى ويسمع أشياء كثيرة ، وبالرغم من شقاوته وسنه الصغير إلا أنه كان محباً للفرقة . وذات يوم جاء إلى تلك المقاطعة مدرس يدعى ذكريا ليفي ابتداءً يعلم في كوخ خشبي فقير حيث كان التعليم بطريقة القراءة بصوت عال . وهكذا اكتسب لب عادة القراءة لنفسه بصوت عال طوال سني حياته .



أما توماس لنسكولن فلم يكن يحب العلم . وكتب أبراهام عن ولده أنه كان غافلاً متجولاً نشأ بذون أن ينال أى قسط من التعليم ، يكاد يحط اسمه بصعوبة بالغة . كان صائداً ماهراً ونجاراً ، وعاملاً مجداً ومحدثاً بارعاً .

وبالرغم من جهل و فقر عائلة نانسي ، كان كثيرون يذكرون أن نانسي هانكس لنسكولن كانت امرأة ذات رقة بالغة وذكاة فطرية غلاب . وكان البعض يرجح أنها تستطيع أن تقرأ وتكتب . ولم يكن من المشكوك فيه أن هذه الأم المحبة لأبراهام وسارة أصرت أن ينال ولداها قسطاً من التعليم ولو لبضعة أشهر .

وفي خلال سنة ١٨١٦ لاحظت نانسي أن زوجها توماس لنسكولن أصبح قلقاً وكاد أن يفقد أرضه مرة أخرى لأن رجلاً آخرين طالبوا بأحقيتهم فيها . وكان من الصعب جداً على ميزانيع فقير لا يملك عبيداً يعملون عنده أن يستمر في العمل في مقاطعة تعترف بالرق . لذلك تناقش توماس مع زوجته في أن يذهب إلى شمال نهر أوهايو حيث توجد أرض خصبة واسعة لا يقطعها أحد حيث يمكن أن يبدأ هناك من جديد .

ويمكننا أن نخمن الأفكار التي راودت نانسي لنسكولن حين ذهب زوجها وحيداً يكتشف الأرض الجديدة ، ذلك الرجل الذى غير مجرى حياته ثلاث مرات خلال السنوات العشر من حياته الزوجية ، فهل يمكن له الآن أن يستقر ويرضى ؟ وكان ذلك العام أبرد عام مر على تلك البقاع حتى إن الرواد أسموه عام « الف وثمانمائة والتجمد حتى الموت » . ولم يتمكن نوم من العودة من إنديانا إلى منزله إلا في أواخر الخريف بعد أن ينقضى الشتاء ، وكان على نانسي أن تقضى هذا الشتاء الخيف وحيدة مع ولدها . وكثيراً ما كانت تبكي وهي وحيدة في ظلام كرخها ، إلا من صرير الرياح تسلل مصفرة من المدخنة .

ولكن أى انتقال جديد بالنسبة إلى إرب كان بمثابة مغامرة مثيرة وهو الذى كثيراً ما كان يتسابق السفح الممتد خلف الكوخ، ينظر فى اتجاه أنديانا الممتدة أميالا بعيدة نحو الشمال والتي كان لإسمهاثير فى مخيلته صور الهنود الحمر، وهو بالطبع لن يخاف الدببة التى تكثر هناك لأنه بعد قليل سوف يبلغ الثامنة من عمره وسيكون فى استطاعته حمل البندقية أو استعمال البلطة كأى رجل بالغ .

وكان إرب يظلل عينيه يديه من شمس أكتوبر ويتعجب هل ذلك الخط الأزرق الذى يراه بعيداً جداً نحو الشمال هو جزء من السماء أم هو نهر أوهايو العظيم الذى تمتد على شواطئه أرض إنديانا الموعودة ؟

الفصل الثاني المخيم المؤقت

« وصلنا إلى بيتنا الجديد في نفس الوقت الذي انضمت فيه لإنديانا إلى
الاتحاد الأمريكي . وهناك نشأت المقاطعة البرية التي تملأ في غالبيتها البرية
والحيوانات المتوحشة »

أبراهام لنكولن

ولما عاد توم لنكولن من رحلته الاستكشافية في نوفمبر ، قال لنانسي
والأولاد إنه قد استطاع مزراعة تبلغ مساحتها حوالي ١٦٠ فداناً بجوار
« ييجون كريك » تبعد بضعة أميال شمال نهر أوهايو ، وطبعاً أخبرهم عن
الأرض الخصبة وعن الغزلان والديكة الرومية البرية التي تكثر هناك -
ولكنه ربما نسي أن يخبرهم أن أقرب مكان به ماء صالح للشرب هو نبع
ليس بالقرب من المزرعة ، وأن الغابة مليئة بالذئبة والثوب والنمور والقطط
المتوحشة ، وأن المستنقعات القريبة تمنع هناك نشر المملاريا في كل مكان .

وبالرغم من أن حكومة إنديانا المحلية كانت تعطي فرساً جيدة لتمليك
الأرض أكثر من حكومة كنتاكي .. وأن الأرض هناك كانت أكثر
خصوبة ، إلا أن أبا مثل توم لنكولن قد أصابه القلق لأن ينتقل مع
امراته وأولاده في مثل هذا الشتاء القارس إلى الأرض الجديدة حيث
لا يوجد حتى كوخ يأويهم ويقبهم ثمر ثقلبات الجو . وليس لدينا أي
مصدر موثوق به يحكي لنا قصة انتقالهم الجديدة إلا حديث شاهد العيان
الوحيد دنيس هانكس .. قال :

« جمعت فانسى كل الخرق التي يمكنها استعمالها فيما بعد في كيس مصنوع من التيل ووضعها أنا على ظهر الحصان بينما حمل لرب بندقيته .. أما توم فقد ترك وراءه أعمدة السرير والكراسي والموائد الخشبية الصغيرة لأنه كان أسهل له أن يصنع غيرها من جديد بدلا من أن يتحمل مشقة أخذها معه .. »

وبعد يومين من الترحال وصلت عائلة لسكون إلى الضفة الجنوبية من نهر أوهايو العظيم ، ومن تلك البقعة الجميلة عبروا إلى الضفة الأخرى للنهر الواسع ، حيث نزلوا في مزرعة رجل اسمه بوسى .. ومن هناك واصلت العائلة رحلتها المضنية خلال الغابة التي لم تطأها أقدام أحد من قبل إلا نادراً في طريق ضيق ضيق لمسافة ستة عشرة ميلا .. ووجههم المزعجة الجديدة .

وفي الطريق الذي كالخوا خلاله إلى هدفهم كانت أشجار الغابة مازالت تحمل بقايا أوراق الخريف ، وشجر الجوز والزان يتألق تحت أشعة الشمس الذهبية ، وشجر الاسفندان في لونه القرمزي يهر النظر . وترك شجر الجوز ثماره تتساقط وتغطي أرض الغابة .. وبهرم منظر شجر البلوط في استمراره الضارب إلى الحمرة ، والجنين المنموس في الضوء الخافت على امتداد كل جدول قابله ، وفي كل مكان بين أشجار الجوز والصفصاف والدردار انتشرت شجيرات العنب ، تاركة عناقدها البكر القرمزية تتبدل من بين الأوراق الصفراء . وهناك وقبل أن تطأ قدم إنسان تلك البقعة البكر ، تمت الأشجار الضخمة كأنها الأبراج العظيمة .. تمتد على طول مرمى البصر .. تملأ الأفق البعيد .. ونهاكاً العالم الذي يمكنهم تحمله ..

وفي مجاهل هذه الغابة ، لم يظهر أثر لأبي هندي من الأعداء حيث أن قبائل الهنود الحمر لم تكن تعيش عام ١٨١٦ في إنديانا الجنوبية . وعلى الرغم من ذلك فإن إيب الصغير احتفظ ببارود بنديته جافاً حينما كانوا يعبرون نهر أوزهايو وأهم بمراقبة الطريق مراقبة دقيقة أثناء ترحالهم خلال الغابة لأنه لم يكن لينسى أنه سمي باسم جده الذي قتله الهنود الحمر في كنتاكي . وكثيراً ما سمع إيب قصة مقتل جده يقصها عليه والده ، تلك القصة التي استعادها اذ ذكرته في جو الغابة التي ملأها عواء الذئاب الآتي من بعيد . « لقد كان أبراهام ليمكون الكبير جد إيب صديقاً لداينال بون وكان قد انتقل مع زوجته وأولاده الثلاثة ولبنتيه من فرجينيا عبر الجبال واستقر في كنتاكي عام ١٧٨٢ حيث سجل باسمه قطعة أرض تبلغ مساحتها ألفي فدان في بلاد النهر الأخضر .

وفي أحد أيام مايو ١٧٨٦ عندما كان جد إيب وأولاده يعملون في الحقل ، انطلقت رصاصة من أكمة قريبة سقط أبراهام بعدها على الأرض ومات بعد دقائق قليلة ، وبينما هرع أخوا توم لطلب النجدة ، بقي هو إلى جوار جثة والده ، وهو الذي لم يكن قد بلغ الثامنة من عمره بعد . وما أن التفت توم خلفه حتى رأى هندياً يندفع نحوه من مكانه . وفزع توم لأن الهندي إما أن يأسره وإما أن يقتله في الحال : وتلقت عينا توم بميدالية ذهبية كانت تتدلى من صدر الهندي ، وبعدها بلحظات سمع صوت طلقة أخرى تدوى في الفضاء وشاهد الدم يندفع غزيراً من الثقب الذي أحدثته الرصاصة تحت الميدالية . وسرعان ما ارتدى الهندي على أثرها تحت قدمي توم ، فقد كان الذي أطلق الرصاصة شقيق توم الذي كان يستطيع إصابة أي هدف على مرمى البندقية .

وبموت أبراهام الجد تفرقت العائلة في الجهات الأربعة ، وكان من نصيب توم أن يرحل إلى إنديانا .

وما أن وصل أبراهام لتسكون بن كزيانه إلى هذا الحد حتى أفاق على صرخات نمر بعيدة، بعثت بالرعدة إلى أوصله .

وما أن وصلوا إلى المزرعة الجديدة حتى تعرف إيب عليها بأكوام القش التي كان والده قد وضعها على أركانها الأربعة لتحدمساحة ١٦٠ فداناً . وسرعان ما نصبوا مخيماً مؤقتاً يرتكز على أعمدة خشبية ، سقفه من القش وأغصان الأشجار، وتركوا واجهته الجنوبية مفتوحة وأقاموا أمامها ناراً من الحطب تركوها مشتعلة ليل نهار . وفي تلك المرحلة كانت أوراق الأشجار هي فراشهم وغطاؤهم . وما كان أسوأ ما تقول إليه حالهم حينما كانت تمطر السماء إذ تحاصرهم المياه من كل جانب فلا يدرون ما يفعلون . ولكن ما أن استقربهم الجبال قليلاً حتى بدأ توم في بناء كوخ قوى جديد، وكان على إيب وأخته ساره والديهما أن يبقيا في الخيم المؤقت طوال المدة المتبقية من الشتاء القاسي حتى يتم لتسكون الكوخ الجديد . ومن حسن الحظ أن الغذاء كان متوفراً في تلك الأنحاء ، لسكن الماء كان مشكلة المشاكل إذ ظل إيب لمدة عدة سنوات يذهب إلى النبع الذي يبعد مسافة ميل كامل كلها احتاجت العائلة إلى الماء . وفوق ذلك كان يساعد والده في احتطاب الخشب لبناء كوخهم الجديد .

وبعد تلك الحقبة بسنوات عديدة ، كتب أبراهام لتسكون في مذكراته يقول وكأنه يحدث شخصاً ما :

كان أبراهام بالرغم من صغر سنه أكبر من سنه بكثير ، وكان يجيد استعمال بلطة أعطيت له منذ صغره ، فظل يستعملها في كل شيء حتى بلغ الثالثة والعشرين .



وفي تلك السنين ابتدأ أبراهام تجاربه في الصيد . . إذ أنه قبل أن يبلغ الثامنة من عمره بأيام وحين كان أبوه غائباً عن الكوخ شاهد أبراهام سرياً من الديكة الرومية البرية يقترب من كوخهم الخشبي ، فأطلق عليه النار خلال ثقب في حائط الكوخ وقتل أحدها . ومنذ ذلك التاريخ لم يشدأ أبراهام زناد البندقية مرة أخرى .

ومع شهر إبريل (تشرين) بدأ الربيع في موجاته المتتالية ، يحمل الأشجار بالأوراق ويفتح الزهور على طول نهري المسيسيبي وأوهايو حتى وصلت بشائره إلى ييجون كريك . وجمعت الخيم المؤقت وخلعت على الكوخ الخشبي حلة رائعة من الزهور البيضاء تتوج بالندى النقي وكأنها كأس الآلهة . وزحف الربيع إلى ما وراء ذلك الجبال العشب الأخضر تاركاً وراءه البنفسج الأرجواني والشقائق الأصفر كأنه النخل (؟) .

وفي خريف ١٨١٧ هبطت وحدة عائلة لنسكولن بوصول دنيس هانكس وتوماس دنيس بنهار الاثنين ١٢ أكتوبر ١٨١٧ . قد تبنيا نانسي لنسكولن وابن عمها دنيس ، والذي خرج قائداً ، قبلها بعد كاديسوأم نانسي لنسكولن الحقيقيين . واقامت عائلة سبارو في الخيم المؤقت التي كان لنسكولن قد تركه للسكن في كوخه الجديد الذي تم بناؤه والذي سكنه لنسكولن بحمام . ونصبت نانسي مغز لها هناك ، وكان في استطاعتها أن تطلع على نار تخرج من مدفأة حقيقية وأن تنام على سرير . حصلت مرة أخرى على كراسي صغيرة ومائدة للطعام . ولكن نوم لم يستطع أن يروى الكوخ ، مما جعله مفصلات ولم يكن عنده مشمع لتغطية فتحات النوافذ ، لذلك كان الهواء البارد يتسلل من تحت الجلود التي كانت تغطي الثقوب والفتحات الموجودة في الكوخ ، ولا عجب إذ لم يستطع الرواد الأوائل أن يعيشوا طويلاً في مثل هذه الظروف .

وبينما كان البرد يهراً أوصال أفراد عائلة لسكون في كوخهم غير المكتمل شتاء عامي ١٨١٧ و ١٨١٨ ، كانت عائلة سبارو تتجمد أوصالها في الخيم المؤقت الذي نزلوا فيه . وبالرغم من الصقيع والبرد استطاعت العائلتان تجهيز ٦ فدادين لزراعتها عند حلول ربيع عام ١٨١٨ ، واعتمدوا في أكلهم على الصيد وثمار الغابة .

وما أن حل خريف العام التالي حتى أصاب تلك المنطقة وباء خفيف وغامض لم يفرق بين الإنسان والحيوان . ومهما كان أمر هذه الغمة ، إلا أنها أصابت توماس ودينيس سبارو فتركتهما مريضين في رعاية نانسي . ولم يمض وقت قليل حتى سقطا ميتين في مضجعهما المصنوع من القش . ولم يمض وقت طويل على موaratهما مقررهما الأخير حتى سقطت نانسي صريعة لهذا الدواء الويل . وكان أقرب طبيب يبعد عنهما مسافة خمسة وثلاثين ميلاً . وحتى لو كان في استطاعة توم إحضاره لما كان في استطاعته أن يفعل شيئاً ، إذ أنه لم يكن في كل تلك البلاد من يعرف علاج هذا الوباء .

وعندما انقشعت السحب وتركت السماء بزرقتها الصافية ، واخضرت الأوراق من جديد ، ودعت الأم الصالحة ولديها أبراهام وساره إلى جوارها وطابت منها أن يعداها بأن يجب كل منهما الآخر ويعطف عليه . . أسلمت روحها إلى بارئها تاركة وراءها يتيمن ومغزلاً صامتاً لا يدور ، وبدا الكوخ كأنه حزين ووحيد في وسط تلك الغابة الواسعة .

— ٢٤ —

وساعد إيب ودييس ونوم في صنع الكفن للناسي ونحفرها لها قبراً في الغابة وضعوها فيه . وبالرغم من أن إيب كان في التاسعة من عمره فقط ، إلا أنه لم ينس أبدأ الطريقة الموثلة إلى ماتب بها أمه ، كان كل شيء هادئاً حتى إن أوراق الخريف تساقطت ، ومرت ريح الشبام دون أن تحدث أى صوت . وكان المكان الذي دفنت فيه ناسي هو ملاذ إيب كلما شعر أنه حزين أو وحيد .

الفصل الثالث

الأم الجديدة

« كان إيب ولداً طيباً . لم يفضي أبداً لا بالفعل ولا بالقول . وكان
يجب كل إنسان وكل شيء . وبالرغم من صغر سننا كان تفكير عقل وعقله
يسيران في نفس الاتجاه » .

ساعة لسكولون

ولمدة عام كامل بعد وفاة نانسي لسكولون قامت سارة التي لم تكن قد
جاوزت الثانية عشرة من عمرها بكل مسئوليات المنزل تجاه والدها وأختها
الذي بلغ العاشرة ، ودنيس هانكس أيضاً . . كانت الحياة في السكولج
غير المكتمل على روائى « بيجون كريك » . . . تسير في بؤسها لئلا تلهي
وكان أكثر ما يحز في نفس توم أنه لم يستطع أن يشيع زينة نانسي
وعائلة سبارو إلى مقرهم الأخير بالصلاة الضرورية لرحلتهم الأخيرة .
وخفف من ألمه القس « إلكن » الذي وصل من مقاطعة هاردين بفيلج أن
يقرا الصلاة الأخيرة على روح الراحلين بحضور إيب وسارة وهينيس وتوتشيل
الذين ركعوا بحشوع يطلبون من الله الرحمة للذين ذهبوا وباتبعهم رفاتهم ،
رماداً . ولكن الكلمات مهما كانت لا يمكن أن تعوض الإنسان أحباءه الذين
فقدهم . . فنانسى لم تعد هناك لتعطيهم القوة والحب والعطف والحنان ،
وتغزل لهم ملابسهم ، وتضع لهم الصابون والشمع . . وفي ذلك الحين
الكئيبي الملى باليأس لم يعد أحد منهم يهتم بنفسه .

ومع الخريف التالى جاءت الذكرى الأولى لوفاة نانسى ، ولم يعد توم يحتفل ألى الفراق ، فقرر الذهاب فى رحلة إلى كنتاكي تاركاً وراءه الأولاد الثلاثة لوحدهم وتخيلاتهم . وعندما كانت الريح تصفر فى الليالى المظلمة وتساقط أوراق الخريف فوق سقف السكوخ ، كان يخيل لهم أنها وقع أقدام نمر خفيف يتحسس طريقه إليهم لينشب فيهم مخالبه .

ولم يضع توم أى وقت حين وصل إلى بلدة إيليزابيث حيث قصد لنومه إلى منزل « سارة بوش جونستون » التى كان قد تودد إليها قبل زواجه من نانسى هانكس وكان زوج سارة قد توفى تاركاً لها ثلاثة أطفال هم إيليزابيث ومايلدا وجون ، وبينما كان ولدا توم فى حاجة إلى أم كان أولاد سارة الثلاثة فى حاجة إلى أب .

وكما حكى قصة الزواج الجديد شاهد عيان ، قال توم لسارة « ليس لى الآن زوجة وليس لك أنت أيضاً زوج ، وقد عرفتك منذ كنت طفلة وعرفتني أنت منذ كنت أناسياً وليس لى وقت لأضعه هنا . فإذا كنت ترضين الزواج فى فيجدر بنا أن نتزوج حالا . . . » . وردت عليه سارة قائلة « تومى العزيز ، حقاً عرفتك جيداً وليس لى أى مابح لأن أتزوجك ولكن يجب أن ننتظر قليلا لأسدد ديونى » . ولكن هذا الموقف لم يثبط من عزم توم فقد دفع كل ديون سارة . وفى اليوم التالى ، فى الثانى من ديسمبر ١٨١٩ تزوجها .

ودهش إلب وسارة ودنيس لرؤية العربة التى تجرها الخيول الأربعة تأتى محملة بالهوائىب والأدراج والأدوات المنزلية من المغزل إلى أطباق الصفيح . وبالإضافة إلى كل ذلك حملت لهم العربة أما جديدة ترسم البسمة

على شففتها ، وحملت لهم أيضاً أخاً جديداً وأختين جديديين . ولا بد أن سارة لبوش جونستون كانت ذات أخلاق حميدة إذ أنها تركت منزلها الصغير النظيف المريح المؤث لتأتى وتعيش فى كوخ ذى أرضية قنرة وبدون نوافذ ولا أبواب ، ليس به إلا بعض قطع الأثاث الخشبية ومراتب من القش وسرير خشبى . وكان إيب وسارة ودينس أبعد ما يكونون عن النظافة حتى أن دينس نفسه اعترف بقوله إن ملابسهم كانت ممزقة وقنرة حينما وصلت سارة إليهم ، وكان أول شيء فعلته سارة أن طلبت من دينس أن يضع بعض المقاعد الخشبية بجوار باب الكوخ . وبعد ذلك « جعلتني أنا وإيب وابنها جون جونستون نملأ الحوض بالماء من النبع . ووضعت هناك علبة ملأتها بالصابون السائل وإلى جوارها صفيحة مليئة بالماء . وطلبت منا أن نغسل أيدينا استعداداً للغداء ، وشعرنا بأهميتنا عندما تكون العمة سارة موجودة . » ولم يطل الأمر بإيب وأخته حتى أحبا زوجة أبيهم الأنيقة المحبة ، وبدأت هى بدورها تهتم بنظافة ملابس أطفالها الجدد بكل هممة ونشاط . مسحت الكوخ ونظفته ولم تترك أثراً للغسكوت ، وأصرت على أن يصنع لها توم باباً جديداً بمفصلات ، وأسرة جديدة أيضاً ، بينما ملأت هى المراتب بقش جديد ، ووضعت فوقها مراتب من الريش الذى أحضرته معها ، واشترت بعض الجير دهنت به حوائط الكوخ وسقفه ، ووضعت فى أحد أركانه المكتب الذى كلفها يوماً ما ٤٠ دولاراً ، وشعر إيب أنه أصبح إنساناً جديداً . ولم تدخر زوجة الأب الجديدة أى جهد فى سبيل تشجيع طموح إيب إذ كانت امرأة ذات رقة وسحر وشجاعة . وصفتها إحدى حفيداتها بأنها امرأة طويلة منتصبه القامة كالهندي الأحمر ،

أنيقة ، تحسن الحديث وذات كرامة . . احتفظت بالكوخ في نظافة تامة
وسيطرت على الأولاد بكل محبة وتحمل . وكثيراً ما شاركت إيب
ضحكاته العالية .

وما كان أجمله من عيد ميلاد صاحب ليلة ٢٥ ديسمبر ١٨١٩ عند ما
أعدت سارة الديك الرومي وبعض لحم الغزال للأطفال الجياع . . وكم
كانت سعادة توم لتسكولون عند ما تتم بكلمات الشكر للسعادة التي منحه
إياها الله . حينئذ رأى الأولاد مجتمعين حول المائدة يحتفلون بعيد الميلاد
في كوخ نظيف مع أم ترعاهم .

الفصل الرابع

التعليم على الحدود

كانت هناك مدارس ، هكذا كنا نسميها . ولكن لم تكن مؤهلات المدرس
تعدى إجادته القراءة والكتابة .. ولم يوجد أى حافز لإثارة الطموح و
الإيمان بالتعليم ... »

أبراهام لنكولن

كل من رأى أبراهام لنكولن في صباه ، تلك الفترة التي أمضاها حافي
القدس ، يذكر عذبة شيتين . أولها أن بنطلونه كان قصيراً لا يكاد يتعد عن
ركبتيه ، وثانيهما أنه كان دائماً يحمل كتاباً في يده ، مما ساعد أبراهام على أن
يبنى عقله جنباً إلى جنب مع جسده . فن الناحية الجسمية ، أصبح لنكولن
في أوائل عشرينياته قتي طويلاً عملاقاً . أما من الناحية العقلية فقد أصبح
أذكي فتيان الناحية على الإطلاق وأسرعهم بديهة . وكان في استطاعته أن
يستولى على انتباه أية مجموعة من الناس بتقليده خطابة الوعاظ أو السياسيين ..
ويدهلهم يضحكون من كل قلوبهم ، أو ينصتون مرهفي السمع حينما كان يعيد
عليهم ما استعادته ذاكرته من بعض الصفحات التي قرأها . وكان أبراهام
لنكولن بطبعه خجولاً في بعض الأحيان ، وأحياناً أخرى مجاًباً لاستعراض
مهارته . كان رقيقاً . وعلى الرغم من ذلك لم يكن ليتردد في أن يقاوم بضراوة
إذا ما أثار ثأرته أحد .

وفي خلال حياته كلها . . حتى بعد أن أصبح رئيساً للجمهورية كان أبراهام يبدو حزينا لأنه لم يستطع أن يتلقى تعليماً منتظماً ، وكان قائماً بالقسط الذي ناله من الثقافة من خلال قراءته الخاصة . وبالرغم من نشأته في محيط فقير غير متعلم إلا أنه كافع وجيداً بكل صلابه حتى أصبح أكثر حكمة من ملايين الناس الذين اغترفوا من مناهل العلم والدراسة .

كانت حياة أبراهام لتكون التعليمية بالقسط كما وصفها بنفسه . إذ درس على يد خمسة أساتذة : اثنان في كنتاكي وثلاثة في إنديانا . وكان مجموع مدد الدراسة لا يزيد عن عام واحد . أما عن أساتذته في إنديانا فكانوا كراوفورد ودورس وسوانى ، وكان كل زاده من الكتب هو كتاب القراءة وكتاب الحساب والإنجيل . وكانت جميع المدارس في مناطق الحدود تشابهه ، ف يدفع الطالب مصاريف عينية من إنتاج المزرعة مثل اللحم أو القمح ، وفي بعض الأحيان جلد الراكون . والمدرسة نفسها عبارة عن كوخ خشبي يدخله قليل من الضوء ، مقاعدها غير مريحة . وبينما تكاد وجوه الطلبة الذين يجلسون في المقاعد الامامية تحترق من هيب المدفأة ، يرتعد الطلبة الذين يجلسون في الصفوف الأخيرة من البرد الذى يكاد أن يجمد أصابعهم فيجدون صعوبة كبرى في الإمساك بالقلم .

وأثناء الفصل الدراسى كان على إيب أن يسير إلى المدرسة التى تبعد أربعة أميال ونصف الميل ، ومثلها في العودة منها . . لكن تمتعه بمنظر السنجاب وهو يحمل ثمار البلوط والجوز إلى وكره . . أو بمنظر الغزلان وهى ترحل فى الغابة فى الجوالصحو قد خفف عنه تلك المسافة ، أما أيام الشتاء المطيرة الباردة ، فاقه قاسى منها الأمرين ، إذ كثيراً ما كان يعود من المدرسة وقد تجمدت أطرافه من البرد وثيابه تقطر ماءً . . .

ووصف دنيس هانكس هذه الأيام بقوله :

« لم تكن الأحذية نحمى أرجلنا من البلل ، وكانت جواربنا مليئة بالثقوب . وزاد من ألمنا تلك الأميال التسعة التي كان علينا أن نسيرها في الذهاب وفي الإياب في ذلك الجو البارد العاصف » .

وبالرغم من كل هذا التعب ، فقد أحب إيب المدرسة وحاول الاستفادة من كل يوم قضاء فيها . إذ كان يصل إليها مبكراً ، متفوقاً على أقرانه في الصف الدراسي فكان أولهم دائماً . ولم يكن يخطئ أبداً في هجاء الكلمات مما جعل مدرسه يتعلق به ويؤثره على بقية زملائه .

والمدارس في إنديانا هي الأخرى كانت على شاكاة مدارس كنتاكي ، تنهج على التدريس بالصوت المرتفع ، فكان على كل تلميذ بالفصل أن يستذكر دروسه بصوت مسموع ، حتى يخيل لكل من يقترب من المدرسة أنها خلية نحل تموج بالصوت والحركة . وكان المدرس يستعين بعضاً من خشب الجوز في حشو عقول التلاميذ بالمعلومات . . وكان عليه أحياناً أن يستعين بعضلاته في قتال تلميذ كبير ليثبت أنه الأقوى . ولا عجب إذا لم يتعلم أحد شيئاً . .

حاول كرافورد كثيراً أن يعلم تلاميذه الأخلاق بأن يجعل أحد طلبته يقرع الباب قبل الدخول ، ثم يقدم نفسه كأنه غريب عليهم حتى يعودهم الأدب وحسن التصرف . أما في مدرسة دورس فكان أهم شيء تعلمه إيب هو القراءة بطلاقة ووضوح إلى جانب اكتسابه الخط الجليل . ومن العجيب أن يطلب منه في مدرستى دورس وسوان ، وهو ابن الحدود الخشن ، أن يكتب مقالات عن عدم استعمال العنف مع الحيوانات . ولكنه كان دائماً محباً للشعر يحاول

- ٣٦ -

أن يكتبه . وبالطبع لم يستطع منافسة شكسبير فيما كتب ! وفي أخذ دقاته
المدرسية نجده قد كتب هذه الأبيات الحزينة بخط يده :

إن الوقت يتلاشى كالبخار

رتمر الأيام سراعاً

خاطفة كأنها سهم هندي

تطير كالشهاب

فلا نحس إلا باللحظات التي نعيشها

والتي هي بدورها تتلاشى في اللانهاية

حتى لا نستطيع أن نقول إننا عشناها

إذ أنها هي الأخرى أصبحت ماضياً لن يعود .

ولا عجب لذلك إذا رأينا عدداً من جيران إيب يذكرون عنه أنه كان
« كسولاً » وأنه لم يكن يحب عمله كثيراً . . . ودنيس هانكس نفسه الذي
كان معجباً بلنكولن اعترف أن إيب كان . . . كسولاً جداً . . . دائماً يقرأ . . .
ويكتب . . . ويسمع لنفسه ما يقرأ . . . ويحلل إيب بنفسه هذا الموقف .
بقوله لأحد المزارعين أن والده علمه كيف يعمل لكنه لم يعلمه كيف
يحب عمله .

والحقيقة أن لنكولن الصغير الذي كان ينمو باستمرار عقلياً وجسدياً
كان دائماً مشغولاً بتثقيف نفسه ، بالإضافة إلى الأعمال اليدوية التي كان
يزاولها منذ أن بلغ الثامنة من عمره . ولم تكن هذه الثقافة بالنسبة للذين كانوا



يعيشون في تلك المناطق تعتبر عملاً . لكن هذا الصبي الغير الذكي كان يعد نفسه لمستقبل عظيم لم يخطر لمثل هؤلاء القوم على بال (ولم يخطر على باله هو أيضاً) .

ويبدو أن توم لنكون كان مسروراً وفي نفس الوقت غاضباً من هذا الابن المتعب الذي كان يجب أن يساعده في فلاحه الأرض وإقامة سور حولها . إذ كان في استطاعة إرب أن يغري أى شخص بأن يترك عمله ويقف ليسمعه . وهو يحاول التمثيل بالإشارات ، معبراً عن معان خاصة تجعل كل الموجودين يضحكون .

وكثيراً ما فعل ذلك في كل مكان . . في محل جنترى . . وفي محل الحدادة . . وفي الطاحونة حيث كان لنكون يذهب ليطحن الحبوب وأصبح محبوباً من الجميع هناك . كان يشاهد دائماً ويده كتاب يقرأ فيه . . أثناء الأكل ، وأثناء حراثة الأرض ، وبحوار المدفأة . وكم تعجب توم الذي لم يكن يستطيع أن يكتب اسمه من الفائدة التي يمكن أن يجنيها مثل هذا الفتى من كثرة القراءة .

كان يقول بعض الناس إن أباه كان يعطف عليه ولم يحاول أبداً أن يقطع عليه دراسته . ولكن دنيس هانكس الذي كان يشعر بحجة عميقة لكل من توم ولرب شهد بأن توم كان يضرب ابنه أحياناً عندما يتجاوز حدوده مع الغريب . لكن إرب وجد التشجيع على المضي في القراءة في زوجة أبيه . ومن إحدى مهازله ، أن أبراهام لنكون رفع بين يديه طفلاً تلوثت أقدامه بالطين وجعله يستند بهاتين القدمين على حائط الكوخ الأبيض الجميل . وبدلاً من أن تغضب زوجة أبيه عندما رأت الآثار القذرة التي تركتها القدمان ، انفجرت ضاحكة ، مما جعل إرب يضحك من نفسه ويسرع بتنظيف المكان . وتشابه إرب

وزوجة آية في التفكير جعلهما على وفاق دائماً فهي لم تكن لتوبخه أبداً عندما تراه يقرأ إلى ما بعد منتصف الليل أو أثناء تناول الطعام .. فلقد كان من رابع المستحيلات أن يمنع أحد الصغير لئسكون من التمتع بسحر الكلمات المكتوبة ، التي كانت تحمله على أجنحه الأحلام وتزوده بالعلم والمعرفة .

قال دنيس هانكس إنه لا يذكر أنه رأى أبراهام لئسكون بعد بلوغه الثانية عشرة من عمره إلا ومعه كتاب ، وحين كان يذهب لفلاحة الأرض كان يضع الكتاب داخل قيصره .. وفي وقت راحته عند الظهر كان يضطجع في ظل شجرة وارفه يقرأ ويأكل .. ثم يختار مكاناً مريحاً في الكوخ ليقراً فيه عند عودته ليلاً من الحقل . والغادتان اللتان لم تفارقا أبراهام لئسكون طوال حياته كانتا القراءة وطريقة تمديد أثناء القراءة . وأولى الكتب التي قرأها بهم شديد . كانت خرافات إيسوب ، وروبنسون كروزو ، ورحلة الحاج ، وتاريخ حياة واشنطن . قرأ هذه الكتب عدة مرات حتى استطاع أن يحتفظ منها عدة صفحات عن ظهر قلب .

وعما يذكره في هذا المقام أن كثيراً من الناس انتقدوا كتاب قصة حياة واشنطن وذكروا بسخرية الجزء الخاص بواشنطن الصغير ، حين اعترف لوالده أنه هو الذي قطع شجرة الكرز بفأسه الجديدة وذلك حتى لا يكذب . لكن قلباً تعرض أحد لما كان بهذا الكتاب من أثر عميق دائم على شخصية إيبامين . فكثيراً ما حاول أبراهام لئسكون أن يحذو حذو واشنطن حتى إننا نرى الآن تشابهاً كبيراً بين الرئيسين الشهيرين . فالاثنتان ينحدان من أصل إنجليزي وكلاهما طويل القامة . « كان طول واشنطن ستة أقدام وبوصة واحدة بينما كان طول لئسكون ستة أقدام وأربع بوصات » . وكان الاثنان

من هواة الرياضة في شبابهما، كما تعلم الاثنان من السباحة . وبالمطيع أصبح
الاثنان من رؤساء الولايات المتحدة . والحقيقة المؤكدة أن الاثنين كانوا أميين
فوق العادة . ولعل من بين الشباب الناشئ اليوم من سيتأثرون طول حياتهم بقراءة
تاريخ حياة واشنطن ولنكولن . ولعل من بين هذا الشباب أكثر من واحد
سيكون رئيساً للجمهورية في المستقبل . وفي الأيام التي كان يعيش فيها
لنكولن .. كان على الأولاد أن يرتبطوا بأبائهم حتى سن الواحدة والعشرين
ولم تكن هذه الفرصة لتفوت نوم لنكولن ، فكان يحصل لنفسه على ما يكرهه
إيب من عمله ، كان يرسله أحياناً إلى الجيران ليذبح لهم ماشيتهم مقابل ٣٣ سنتاً
في اليوم . وبالنسبة لشخص مثل إيب الذي تعلم أن يكون غملاً للحيوانات ،
وكتب في ذلك مقالات أثناء دراسته ، وترك الصيد لأنه لم يكن يحب رؤية
« قتل الحيوان — لم يكن مثل هذا العمل محبوباً لديه . لكن الشيء الوحيد
الذي من أجله كان يقبل أن يذهب لهذا العمل هو أنه أتاح له الفرصة في
الخطابة فيمن يذهب إليهم ويتسابق ويمرح معهم . وكانوا كثيراً ما يقبلون
معه النكت النابية ، وبالرغم من أن الجميع كانوا يشربون في هذا المناسبات ،
إلا أن لنكولن لم يكن يقرب الخمر أبداً . وكان شغفه بالمعرفة يزداد يوماً
بعد يوم . وكانت قصصه ممتعة بمقياس تلك الأيام ، لكن تفكيره وعقليته
كانتا أكبر بمراحل كبيرة من كل جيرانه ومن كل من قابله أثناء نمته عن
كاتب جديد او جريدة ليقرأها ، وكانت قراءاته السياسية أول الأمر عن
الحزب الديموقراطي ، وأخيراً اتجه ليجذب رأى « الهويج » ، وبقي من أنصارهم
أكثر من ربع قرن حتى التحق بالحزب الجمهوري في منتصف عام ١٨٥٠ ،
وهو الحزب الذي أدخله أخيراً إلى البيت الأبيض .

وفي أثناء هذا الوقت . اكتشف إيب كتابين كان لهما تأثير كبير على
عقليته الناضجة ، هذان الكتابان هما (قوانين إنديانا) وكتاب (الطبقة



الكولومبية) ، ولم ير الأول اهتمام لنكون بالقانون لحسب ، بل قوى من إيمانه واهتمامه بمواد إعلان الاستقلال الجديدة التى أدخلها توماس جيفرسون . وأثار هذا الكتاب أيضاً اهتمامه بوثائق أخرى هامة كالتعديلات العشرة الأولى للدستور . وتعلم من هذا الكتاب أن على الولايات الشمالية الغربية . بما فى ذلك إنديانا ذاتها ، أن تحرم الرق للأبد . وهكذا خرج لنكون بنظرية العظيمة أن جميع الرجال خلقوا متساوين وأن الخالق وهبهم حقوقاً لا تنفصم ، ومن بينها حق الحياة والحرية والبحث عن السعادة .

أما الكتاب الثانى (الطبقة الكولمبية) فإنه وسع من أفقه أبعد من حدود الولايات المتحدة ، بل حتى أبعد من نصف العالم الغربى ، فمن ذلك الكتاب ازدادت معرفته وعلمه بالجغرافيا وتاريخ العالم أجمع . ونقله هذا الكتاب أيضاً أبعد من عالمنا الذى نعيش عليه ، إذ فهم لب منه أن عالمنا هذا ليس إلا واحداً من عدة كواكب تدور حول الشمس البعيدة الملتبسة ، وأنه حتى هذه الشمس ليست إلا واحدة من ملايين الشمس التى نطلق عليها النجوم . وكان هذا الكتاب كفيلاً حقاً بتوسيع مداركه وأفقه .

وعلى صفحات أحد الجداول ، وأربعة أقدام تتلى فى مائه - أقدام لب وإحدى جيرانه من الفتيات وتدعى كيتى روى - وعلى ضوء غيايق الشمس من بعيد وظهور القمر بنوره الفضى ، قال لنكون لكيتى إن الشمس نفسها لا تنزل ولا القمر يصعد ، لكن الذى يحدث فعلاً أن الأرض تدور حول محورها مما يجعلنا نرى هذه الأجسام السماوية تهبط وتصعد ، ولم يكن لب يحب كيتى ، لكنهما كانا صديقين . ولم تنس كيتى طوال حياتها ذلك الدرس البسيط البديع فى علم الفلك ، ولا كم كان لب لنكون يبدو ذكياً بل عالماً ، حين جلس على حافة ذلك الجدول فى تلك الأمسية الهادئة ، يشاهد معها بزوغ القمر من بين أشجار إنديانا الجنوبية ، كأه قرص من الذهب .. مستدير .



الفصل الخامس

السفر إلى القارب في نهري المسينين

« أنا لا أخجل من اعترافى بأنى كنت عاملاً أجيراً ، وأنى اشتغلت مع العمال
لدى خطوط السكك الحديدية » ، وعلمت على «أرب صابر» .. كما يحدث تماماً
لأن أى رجل فقير .. »

أبراهام لنكولن ..

كان أبراهام لنكولن خلال حياته كاماً مهتماً بالقوارب والملاحة
النهرية . وما يذكر أنه قبل أن يولد لمب ، بنى والده توم قارباً حمله الكثير
من إنتاج المزرعة وأبحر به عبر نهى أوهايو والميسيسى إلى نيو أورليانز .
فقد كانت الوسيلة الوحيدة لنقل المحاصيل فى تلك الأنحاء هى عن طريق
النهر . أما المكان الوحيد لتصريف إنتاج المزارع فقد كان ميناء نيلسو
أورليانز .

وقبل أن يتمكن لمب من أن يقوم بأول رحلة له فى النهر ، كان عليه أن
يتعلم أصول المهنة ، فعندما بلغ السادسة عشرة من عمره ، عمل مع جيمس
تايلور فى بناء معدية صغيرة وبدأ فى استغلالها عندما نصب أندرسون كريك
حيث يلتقى أحد الروافد بنهر أوهايو . ولم يكن يكسب من هذا العمل أكثر
من ٣٧ سنتاً فى اليوم فى مقابل ذلك العمل الشاق . لكنه كان يكسب
بالإضافة إليها قليلاً من النقود كلما أخذ بعض الركاب فى قارب الصغير لنقلهم
إلى إحدى السفن الراسية فى قلب النهر . لكنه لم يسن أبداً ذلك اليوم
الذى عبر فيه النهر برجلين إلى أحد المراكب المنتظرة ، وكفاءة الرجلان

حينذاك بقطعتين فضيتين من نصف الدولار ، ولم يكن الصبي الفقير مصداً أنه
يستطيع أن يكسب دولاراً كاملاً في أقل من يوم واحد .

وبلوغ لتكون السابعة عشرة من عمره أصبح طوله ستة أقدام
ثوبنتين ، وارتفعت البوصات إلى أربع ببلوغه التاسعة عشرة من عمره .
كان أميناً موثقاً به محبوباً من جميع جيرانه ، وأصبح شاباً قوياً حتى إنه كان
يستطيع أن يستعمل هراوته أقوى من أى رجل آخر يعيش في ذلك الجزء
من إنديانا ، فلاغرو ان يمنحه جيمس جنتري فرصة كانت هي فرصة
العمر بالنسبة لإيب .

كان جنتري من أضي رجال تلك المقاطعة ، يملك عزن المدينة ، ويملك
أيضاً أكثر من ١٠٠٠ فدان مزروعة . وما أن عرض على إيب أن يبقى مع
نجله ألن قارباً ليحمله بالإنتاج وبذهابه إلى نيواورليانز ، حتى اقتنع
لإيب الفرصة ولم يدعها تفلت من يديه ، كانت مكافأة إيب عبارة عن ثمانية
دولارات في الشهر بالإضافة إلى نفقاته طوال مدة خدمته بما فيها رحلة
العودة .

وكانت القوارب المسطحة من أقصى أنواع المواصلات النهرية إذ كانت
تصنع من دعائم مربعة كيزرة والأواح خشبية سميكة يتراوح طولها من ٢٠
إلى ٨٠ قدماً وتتكلف بناء كل قلم طولى حوالى الدولار . كانت هذه العائمة
عبارة عن خلط من كوخ ، وقلعة ، وعزن عام ، وبقالة متعة ذات جوانب
حالية يكتفى طولاً لحايتهم من زخافات قطاع الطرق الهنود وقراصنة النهر .
ولكن هذه القوارب كانت ثقيلة إلى حد أنها لا تستطيع المناورة أو الرجوع
إلى التوراء عند التيار على الرغم من استطاعتها أن تحمل الكثير من البضائع
إلى مدينة نيواورليانز النقى ، وأغلبها من الحبوب والويسكى واللحم .



ولم يكن أبراهام لئسكون ليهم بالصعاب التي سيقابلها في تشييد مثل هذا القارب، إذ أنه كثير ما ساعد والده في البناء الذي أكسبه مهارة فائقة في استعمال القدوم والبلطة والمنشار وكل أدوات التجارة الأخرى، ولا بد أن جيمس جنتري قد نظر بعين الاعتبار إلى كل هذه المؤهلات حين استعان بلئسكون لخدمته. فلم يكن بناء المركب والسفر به عملية سهلة يناط أمرها برجل ضعيف. فالحياة في مثل هذه المياه كانت شاقة ومتممة إلى جانب خطورتها.. وبالرغم من أن ملك القراصنة «مايك فنك» الذي اشتهر بضراوته وبعدم رحمته لأحد ممن وقعوا في قبضته — إذ كان يقتلع عيونهم ويجمع أنوفهم — بالرغم من أن هذا القرصان لن يكن يباشر قرصنته في الوقت الذي استعد فيه لئب وأن لبدأ رحلتها في بريل ١٨٢٨، إلا أنه كان هناك قراصنة آخرون في مثل قسوة وعنف «مايك فنك» يباشرون نشاطهم في تلك المياه.

كان لئسكون بطيء الغضب، ولكن جيمس جنتري كان يعرف مقدما أنه إذا صادقهم أية متاعب في الطريق إلى نيو أورليانز، فإن ابنه أن سوف يجد في لئسكون خير رفيق ليدافع عن القارب وحولته، فإذا أمكنهم تخطي الكهف الصخري مأوى القتل وقطاع الطرق على شاطئ إلينوى في نهر أوهايو ثم تجنبوا أوكار القراصنة الأقل خطراً بأمان، فربما استطاعوا الوصول إلى نيو أورليانز بسلام.

وحين بدأت بشار الريح الأولى في الظهور وبدأت أغصان الأشجار تمتلئ بالأوراق الخضراء عبالألب وأن قلوبهما الجديد بالمؤن والبصائع وكل ما كان جنتري يود يبعه في نيو أورليانز، وبدأ الاثنان مغامرتهم المثيرة من أرض جنتري.

يمر نهر أوهايو في تلك المقاطعة عريضاً هادئاً يحمل على صفحته في

أيام الخريف بعض الأغصان ، بينما يحيط البط والأوز البحري في أسراب عديدة على صفحته أيام الربيع وهي تتجه شمالا مهاجرة نحو القطب ، فتزد صيحاتها المثيرة في جوانب الغابات . وكان الصيادون يرسلون بمرأيتهم إلى جوانب الروافد طلباً للراحة أو لتناول الطعام . ومن آلاف الروافد كان النهر العظيم يستمد مائه ، واستمر إرب وألن في سيرهما بالقرب مع التيار سواء أكان الجو مشمساً أم مطيراً ، ينأمان مساء في المأوى الخشن في نهاية القارب . حتى استطاعا أن يتخطيا بإسلام الكهف الصخري الشهير ، ودخلا إلى المنطقة الموحلة من نهر المسيسيبي .

ولقد كانت المراكب البخارية تسير في النهر ، العظيم منذ سنة ١٨١١ عندما كان عمر إرب عامين ، فلقد تم بناء ثمان سفن بخارية لاستعمالها في النهر عام ١٨١٧ . وفي خلال عامين نزل إلى النهر أسطول آخر مكون من ستين سفينة أخرى . وبالإضافة إلى ذلك كان النهر يعج بالقوارب والصيد المتفاوتة الأحجام تجعل على ظهورها المستوطنين الجدد بمؤنهم وأدواتهم . وكثيراً ما شاهد إرب وألن هذه السفن البخارية وهي تنفتح دخانها الأسود في سماء إربيل الصافية . ولو أنهما بدءا رحلتهما في ذلك القارب قبل ذلك بسنوات لشهدا أضخم مركب بخاري للجيش الأمريكي راسية على الشاطئ ، وهي تلك التي صنعت على هيئة تين ضخم جعل طلاؤها الأسود منظرها يبدو وكأنه وحش هائل من وحوش ما قبل التاريخ يرقد على الماء يبعث بالربع إلى قلوب المحاربين الهنود . وبالرغم من أن إرب وألن لم يشاهدا هذا الوحش إلا أنهما قاما بمغامرات مثيرة .

وكثيراً ما حذرت (مجلة الملاح Teh Navigator) التي كانت لسان حال الملاحين في تلك المياه الجنوبية من أخطار تهدد الملاحين ، من بينها انهيار

ضفاف نهر الميسيني المرتفعة على القوارب إذا اقتربت من الشاطئ — وكانت أيضاً من بقايا فروع الأشجار المدبية التي تستطيع أن تحترق قاع القارب إذا ما اصطدمت به .. وكانت أشد هذه الأخطار الجزر الحشبية العائمة التي كانت تشكل عائقاً خطيراً على القوارب إذ كان التيار يدفع بعض القوارب التي أهمل ملاحوها المراقبة ، لتصطمم بهذه الجزر فتتحطم .

هل كان لدى لشكون ، الذي كان دائماً يقرأ في كتاب أو جريدة أثناء عمله في القارب ، وقتاً لكي يتناقش مع ألن جانفري في الصراع السياسي الناشب من أجل رئاسة الجمهورية بين أندرو جاكسون وكوينسي آدمز ؟ وهل استطاع إيب أن يرى ثروات وادي نهر الميسيني ؟ أو هل ترك خياله يكتشف مصارف الري في الشمال بعظمها ؟ أو مجاهل الغرب والجال التي تحد الشرق الأكثر تقدماً في الصناعة ؟ وهل استطاع أن يرى حقيقة أن هذا الجنوب الذي يسافر فيه — مملكة المزارعين وعبيدهم — كان يشكل خطراً على تماسق أمة جملت على الحرية ؟ ربما لم يخطر هذا كله على بال لشكون بالمعنى الصحيح ، لكنه كان دائماً يفكر ، وأفكار الشباب عميقة وطويلة المدى . لا يمكننا أن نعرف بالضبط ماذا دار بخلده أثناء تلك الرحلة وهو يبحر في الميسيني .. أما إذا بحثنا عن المغامرة البدنية ، فقد كانت قادمة قبل أن يتعدى إيب بعض روافد النهر . فذات ليلة حينما أصبح القارب قريباً من الوصول إلى نهاية غايته ، وعندما بات الوصول مؤكداً إلى نيو أورليانز بسلام ، توقف إيب بقرب مزرعة مدام دونسن .

وكما روى لشكون بعد ذلك « كان نقص المؤن التي نعملها يضطربنا إلى أن نتوقف على فترات تجاه ساحل السكر للتجارة » . وهكذا في تلك الليلة حينما كانا نأمن في مأواهما على ظهر القارب هاجمهما سبعة من الزنوج بقسوة .



وعنف . كان منظر الزوج يدل على نيتهم المبيتة للقتل والسرقة .. وظلوا غم من إصابتهما نتيجة المفاجأة في هذا القتال ، إلا أنهما استطاعا أن يردا المهاجمين ويصداهم . وفي سرعة قطعاً الجبال التي كانت تربط قاربهما إلى الشاطئ وواصلتا إبحارهما حتى المقيب ، ونجح لسكرتون فوق عينيه في تلك المعركة وبقيت معه تلك الندبة طوال الحياة . لكنه لم يشعر ببرادة في قلبه لهذا الهجوم ، ولم يستتج من ذلك أن الزوج قتلة أو قطاع طرق ، لأنه كان يعرف كثيراً من البيض والهنود ممن يقومون بتلك الأعمال الدموية إلى جانب أعمال القرصنة . ولذلك فإنه بعد خمس وثلاثين عاماً وقع لسكرتون وثيقة التحرير التي تنص مادتها الثالثة عشر على تحرير كل زنجي مستعبد في الولايات المتحدة .

كان ميناء نيواورليانز العظيم عالمياً جديداً بالنسبة لإيب وأن . كانت القوارب قد شدت إلى المرفأ في صفوف يصل طولها إلى عدة أميال ، وكانت القوارب تصل إلى الميناء من الخليج وعلى ظهرها بحارة غرباء تتدلى من آذانهم قرطان من الذهب ، وكانت منازل المدينة متباينة الألوان . يخالها المرء قوس قزح ، في حين تشكل شعب المدينة من مختلف الجنسيات فمنهم الفرنسي أو الأسباني أو المكسيكي ، أو من العبيد ذوي البشرة السوداء اللامعة كأنها الأبنوس البراق .. كانت مناظر تثير حب الاستطلاع في هذين الشائين اللذين جاءا من حدود « ييجون كريك » . كان الجميع يختلط عليهم سمع أجراس الكنائس وهي تصلصل بينما تداخلت صيحات الباعة الجائعين كل ينادى على بضائعه ، ولقد نجحا في بيع سلعهما بسرعة ، وحان الوقت للبسه في

رحلة العودة فاستقبل إحدى السفن التجارية الصاعدة في النهر عام ١٨٢٨ ، وكانت هذه السفينة فاخرة الأثاث تنبع بالمقامرين في ضالة اللعب ، قبطانها هو الحاكم بأمره في تلك المملكة العائمة — وهي الحقيقة التي ظلت في مخيلة لنسكون بعد عودته من رحلتهما التي استمرت طوال شهرين كاملين ، وما أن استقرا مرة أخرى في إنديانا الجنوبية في شهر يونيو حتى طلب إيب من صديقه ذي النذور القوي ولم وود أن يؤدي له خدمة هامة . يقول ولم وود : جاء إيب ذات ليلة إلى منزلي ووقف أمامي في حياء وهدوء ففرت أنه يريد شيئاً ما . وسألته ماذا بك يا بني ؟ فقال لي أريد منك يا عمه ان تأتي معي إلى النهر وتوصي في إحدى السفن لأبحر فيها .. لكنني أجبتة قائلاً : لكنك لم تبلغ الواحدة والعشرين بعد يا بني .. فرد على إيب قائلاً : أنا أعرف ذلك ولكنني أريد أن أبدأ .. ومن أجل مصلحة أبراهام لنسكون نفسه لم يحقق صديقه له هذا الرجاء ، وهكذا لم يكن من المقدّر للنسكون أن يصبح قبطاناً لإحدى السفن البخارية .

انكب أبراهام لنسكون المتبرم والمشاكس في بعض الأحيان ، على القراءة ، بشراهة عجيبة ، وهو يؤدي الأعمال التي كانت تطلب منه في قلق وتبرم .. واستمر في حكاية قصصه لمن يقابله ، واستعراض قواه الجسدية ، وكتابة بعض سخرياته . ويبدو أن أبراهام لنسكون حمل في نفسه ثأراً لعائلة جرجزني لأنه آمن بينه وبين نفسه أن آرون جرجزني — الذي تزوج من أخته ساره — كان مسؤولاً إلى حد ما عن وفاتها أثناء وضعها طفلها الأول بإهماله .. ولكنه آمن من ناحية أخرى أن الوقت كان يمضي سريعاً وأنه لن

يبقى ليساعد أباه في المزرعة الفقيرة بجنوب إنديانا... لقد ظل ينتظر على
أحر من الجمر علمه الحادى والعشرين لينعم بحريته وانطلاقه...
وهكذا لم يكن لتكوين ليحس بالتعاسة ، عندما علم أن عائلته تستعد
مرة أخرى للانتقال إلى حدود جديدة حيث منطقة البرارى السوداء الغنية
فى وسط إلينوى .

الفصل السادس

حدود اليمن

« وفي الحادية والعشرين من عزى جث إلى الينوى » .

أ . لشكولن

لم يكن أبراهام لشكولن هو الوحيد في العائلة الذي كان يحس بالقلق وعدم الرضى فإن الوباء الذى حل من قبل ، عاد مرة أخرى إلى « ييجون كريك » وقتل أربع بقرات وأحد عشر عجلا من مواشى دنيس هانكس فى أسبوع واحد . وعاد توماس لشكولن فقيرا مرة أخرى كبدأ عندما جاء إلى إنديانا بعد أن بلغ الثانية والخمسين من عمره ، وهو الذى لم يحالفه النجاح فى حياته من قبل . عاد توماس ليستمتع والأمل الكبير برأوده من جديدة ، إلى الإشاعات التى كانت تتداول عن الأرض الجديدة الخصبة عبر نهر واباش بوسط إلينوى .

« أظن أن جون هانكس هو أول من شعر بالقلق ورحل إلى إلينوى وكتب إلينا من هناك أنه حصل لنا على أرض جديدة وطلب منا أن نذهب إليه ... » هذه الكلمات تحدث دنيس هانكس عندما كان يستعيد الكلمات والأسباب التى دعت عائلات لشكولن وهانكس وهول وجونستون إلى الرحيل عن إنديانا .

و دائما وأبدا ، كان يوم على أهبة الاستعداد للرحيل أيضا شاء لأنه لم

يمكن يمتلك شيئاً ذا بال تخلفه وراء ظهره . فالأرض التي يعيش عليها لم يكن قد دفع ثمنها بعد . وهكذا باع ما تبقى لديه من حبوب وماشية وحزم أمتعته في عربة تجرها الثيران . ورحلنا جميعاً نحن عائلات لنسكون وهانكس وجونستون ، وما زلت أتذكر أننا كنا كإحدى قبائل إسرائيل التي تبحث دائماً عن أرض كنعان أرض الميعاد . أرض اللبن والعسل على حدود بلاد الأباش الجديدة . وكما رأيت تلك الحقول السندسية عائلات قلقمة مثلنا أثناء مرورها إلى الأراضي الجديدة . ولقد باع قوم لنسكون أيضاً مزرعته بأى مبلغ أنت به . وودع أصدقاءه وجيرانه وسرعان ما امتلأت العربات بالأدوات المنزلية والأمتعة والنساء والأطفال . وبدأت العربات رحلتها المتعبة خلف الثيران المكسودة . وقاد إلب إحدى القوافل وكان يثير الضحكات مع كل ضربة من سوطه . وغالباً ما كانت أفكار لنسكون الشاب تنوّه في أمور جدية مثل خطبة دانيال ويستر في مجلس الشيوخ محذراً أنه لا يمكن لأية ولاية أن تلغى أحد القوانين القومية . ولم يكن لنسكون يستطيع أن ينسى بعض الكلمات الرنانة في تلك الخطبة . . الحرية والاتحاد ، الآن وإلى الأبد ، معاً لا يتجزأان .

تسكونت القوافل من ثلاثة عشر مسافراً خلال القفار الباردة . نوم وسارة بوش جونستون ولسكون وأبراهام ابن سارة ، جون جونستون وإليزابيث ابنة سارة التي تزوجت دنيس هانكس وأولادها الأربعة وما تلهه الابنة الثانية لسارة وزوجها اسكوير هول وابنها الصغير . كانت الرحلة بطيئة ومتعبة بل مؤلمة أيضاً .

استمر الموكب في سيره البطيء شمالاً نحو مدينة تنسى في بلاد الأباش إلى تعد من أكبر مدن ولاية إنديانا ، وهناك عبروا النهر على طوافات ،

وبدأت أصعب مرحلة من رحلتهم الشاقة خلال تلك القفار، إذ كانت المجلات تفرز حتى منتصفها في الأرض الموحلة، لدرجة أن الرحلة أخذت منهم أسبوعين كاملين ليصلوا هناك. كنا خلالها نشق طريقنا بالعرابات خلال الغابات، وعبر الأنهار حيث كنا نعدس كرلبا أخذ منا التعب، وكانت الأنهار العذراء تسير في تلك الأنعام المقفرة غير المأمونة، حتى أننا لم نشاهد على طول المسافة أى أثر لجسر بقرته يد إنسان. وكان كلب إيب الصغير ملازماً بإخلاص عربته طوال الطريق. لكن لسكون افتقد كلبه في إحدى المرات بعد عبور أحد الأنهار. وعند ما بحث عنه وجده في الناحية الأخرى من النهر لا يستطيع العبور بزعم شجاعته، وذلك لشدة برودة المياه. وقال إيب: «لم أستطع تخيل فكرة ترك هذا الكلب وحيداً، غلغت نضائي وشمرت بنطالوني وخضنت في المياه عائداً عبر النهر، وعدت وتحت إبطي الكلب الذي كان يرتجف من شدة البرد. وشعرت بارتياح عميق حينما رأيت الكلب يقفز حولي مرحاً، وكانت قفزات الكلب السعيدة هي مكافأتي عما تكبدته من مشقة».

أكمل لسكون عامه الحادى والعشرين في أحد أيام شهر مازن من عام ١٨٣٠، عندما وصلت القافلة إلى الضفة الشمالية لنهر سنجامون عند التقاء منطقة الغابات بمنطقة الحشائش على بعد عشرة أميال من ديكاتور، وسرعان ما ابتدأ رجال القافلة الخمسة في بناء الكوخ الذي أمضى فيه أفراد القافلة الثلاثة عشر بقية ربيع وصيف وخريف عام ١٨٣٠ وشتاء عام ١٨٣١/٣٠ الذي لم يشاهدوا شتاءً أشد منه برودة وقسوة.

وفي تلك البقعة اكتسب أبراهام لقبه العجيب «فالق ألواح الخشب». فلم يكتف لسكون الصغير بفلق ألواح الخشب اللازمة لتسوير مزرعتهم

الجنينة البالغ، مساحتها عشرة فدادين، بل اشتغل مع ابن عم والدته جون هانكس في قلع أربعة آلاف لوح خشب للمستوطنين الآخرين. وتعمل بنشاط كبير في تنظيف وفلاحة الأرض البكر في ربيع عام ١٨٣٨، مستعملاً محراثه الكبير الذي كان يغوص في أعماق الأرض، فيقلبها رأساً على عقب. ولم كان سروره عندما نما القمح الذي زرعه واحضر لونه ثم تحول إلى لون الذهب ووصل طوله إلى ركة الإنسان في يوليه وبلغ أقصى طوله ونضوجه في سبتمبر.

وفي عيد الميلاد من عام ١٨٣٠ بدأ الثلج يتساقط واجتاحت الرياح الباردة أرض الحشائش في قسوة وعنف حتى أن المستوطنين الذين كانت تتجاثم هذه الرياح وهم على بعد مئات الأقدام فقط من أكوامهم كانوا كثيراً ما يضلون طريقهم إليها ويتجمدون في الغابة حتى الموت وتبقى جثثهم هناك لتظهر مع السيول عند ذوبان الجليد في الربيع.

ولأيام عديدة استمر الغضب الأبيض يسحق أمامه كل حدود إينوي من يلا كل آثار الطرق والسكك. وسرعان ما أصبح ارتفاع الجليد ثلاثة أقدام، وتوقفت درجة الحرارة عند ١٢ درجة تحت الصفر. وكان يحكم بالقضاء على أى حصان أو بقرة تخرج من حظيرتها. وهكذا قضى على قطعان من الغزلان بأكلها وجدت فيها الذئاب خير قوت تتغذى عليه، ثم تجمد عدد كبير من الذئاب نفسها حتى الموت أيضاً. ولمدة تسعة أسابيع كاملة عاش أفراد القافلة في داخل كوخ لسكون على وجبات قليلة من خبز القمح وبعض الماء الذائب من الثلوج واستطاعوا أن يحافظوا على حياتهم. ولكن خارج الكوخ لم يكن هناك أى أثر للحياة في ذلك العالم المقفر. ولم يمر وقت أسعد بعد تلك السنة على أن يعود للتفكير في هذه المنطقة من إينوي إذ أن



« سنة الصقيع ، لم ترك لأحد الأمل في ذلك . ومع الأيام بدأ الذهب ينفد
والشحن لم يقطع من جديد فتذيب الثلوج .

كان كل الأفراذ الذين عاشوا في كوخ لنسكون تلك الفترة يتمنون أن
يهربوا من ذلك المكان . ولم يمض زمن طويل حتى انتقل نوم وسارة إلى
مرطهم الجديد في مقاطعة كولز . أما إيب الذي أعطى والده شهوراً من
العمل المنهك والتي يزيد عما كان يتطلب منه القانون ، فقد شعر أن الوقت
قد حان ليتخذ طريقاً جديداً في هذا العالم معتمداً على نفسه . وقد كان
في حاجة إلى وظيفة عندما وافته الفرصة في عرض « دانتون أوفات »
الرجل الحالم الفشار السكير ، أن يستأجره هو وابن زوجته أيه وجون
جنستون وجون هانكس ، ليأخذوا حيلة قارب من المنتجات إلى
نيو أورليانز . واقترح عليهم أوفات أن يلحقوا به عند سبرينغفيلد بعد ذوبان
الجليد ليبدأوا عملهم .

وتذكر لنسكون أنهم ما زالوا في أول مارس عام ١٨٣١ وكانت
البلاد ما زالت غارقة في الفيضانات ، وكان السفر على اليابسة من المستحيلات ،
لذلك اشترى هؤلاء الشبان زورقاً كبيراً وأبحروا في نهر سنجا مون ،
وكانت هذه هي أول رحلة لهم في هذه المقاطعة .

ولما قشروا في سبرينغفيلد على رجل أعمالهم المغامر وجدوه في فندق
يحتسى الخمر ، ولم يكن معه قارب البضاعة المتفق عليه . فكان عليهم أن يبنوا
هذا القارب ويبحروا به أيضاً إذا أرادوا الوصول بالبضائع إلى نيو أورليانز
لذلك كان عليهم أن يعملوا عند أوفات بأجر قدره ١٢ دولاراً لكل منهم
لقطع الأخشاب من الغابات وبناء القارب على ضفاف النهر في بلدة سنجا مون .
وأظهر لنسكون مهارته في قيادة فريق التجارين وفي الطهو لهم . واستغرق

منهم بناء ذلك القارب الذى بلغ طوله ثمانين قدماً ، وعرضه ثمانية عشر قدماً ، نحو شهر من العمل اشاق . وما أن انتهوا من صنعه حتى حملوه بالارب والبراميل المليئة باللحم المقدد ، ووجدوا صعوبة كبيرة فى تحميله ثلاثين خنزيراً لم تكن ترغب فى السفر . وأخذ كل ذلك بالطبع وقتاً طويلاً ، انحصر النهر خلالها عن القارب وأصبح المشروع كالميتوساً منه عندما جنح المركب ووارسدا طاحونة رتلدج .

حدث هذا فى قرية (نيو سالم) التى أمضى بها لسكون ست سنوات لانتسى من عمره . ويحتنب منظر إيب سكان قرية « نيو سالم » فيتجمعون على شاطئ النهر يشاهدون القارب المحمل وهو يتأرجح بخطورة على السد ، وكان يتولى مسئولية إنقاذه من ذلك الموقف شاب فى الثالثة والعشرين من عمره يلبس بنظوناً أزرق ضيقاً وقيصاً مخططاً من القطن وقبعة من جلد الغزال ، وكان يخوض فى المياه حافى القدمين ، يفتش عن المكان الذى يدخل فيه الماء من مؤخر القارب الذى كانت مقدمته ترتفع إلى أعلى . ويذكر جون هانكس عن هذه المغامرة أنهم دحرجوا البراهيل إلى الأمام وصنعوا فتحة فى مؤخرة القارب الذى كان يرفد فوق السد . وهكذا نزح الماء من القارب وأخذ الموقف . وكان صاحب الفضل فى ذلك إيب لسكون إذ أنه هو الذى وضع الخطة وهو الذى اقترض المثقاب الذى صنع به الثقب فى القارب ونزح الماء منه ، وبعد ذلك أعاد إغلاقه . وأتم لسكون كل ذلك والحشد الغفير على الشاطئ يراقبه ، هؤلاء الذين خرج منهم بعد ذلك أشخاص تركوا أثراً فى حياة لسكون ، منهم منتور جراهام الذى ساعده بعد ذلك فى تعلم فن السباحة ، وجاك أرمسترونج بطل المصارعة فى تلك الناحية الذى انتصر عليه لسكون فى إحدى المباريات وأصبح بعد ذلك أخلص أصدقائه وأكبر مشجعيه ، وأيضاً جيمس رتلدج الشريك فى طاحونة رتلدج ووالدان رتلدج أجمل فتيات البلدة . وجاك كاسو

الذي كان يحب الشرب وأصيد السمك وقراءة الكتب شكسبير وروبرت برنارد
الذي عرف لسكرول بكثير من الكتب القيمة .

وكان منهم أيضاً بولنج جرين المرح الذي كان يزن ٢٤٠ رطلاً والذي
أصبح بالرغم من اعتناقه منها سياسياً مخالفاً للمذهب لسكرول أكثر الجميع
تشجيعاً له . كل هؤلاء وكثير من أبناء البلدة كانوا يشاهدون بإعجاب القبطان
الصغير وهو ينقد الموقف عندما اصطدم قاره في السد .

ومهارة لسكرول أكسبته أيضاً إعجاب رئيسه «دنتون أوفات» الذي أحبه
توفيقاً أن من الممكن أن يستفيد منه ، وكتب معه عقداً حين عادوا من
نيو أورليانز ليعمل كاتباً عنده ، وأعطاه بعض المسؤولية في إدارة مخزنه في
بلدة (نيو سالم) .

واستمر جون جونسون وجون هانكس ولاب لسكرول ودانتون
أوفات منحدرين في نهر سانجامون المتعرج الصعب الملاحة حتى وصلوا إلى
نهر إلينوى ومنه إلى نهر المسيسيبي حيث تخلف جون هانكس في بلدة سانت
لويس ولم يتابع الرحلة معهم إلى نيو أورليانز .

ليست هذه الحادثة بذات بال إلا من زاوية واحدة ، فقد ذكر
هانكس بعد ذلك أن أبراهام لنكولن شاهد فتاة خلابة جميلة تباع
في سوق الرقيق في نيو أورليانز مما أثّر في لنكولن تأثيراً كبيراً حتى إنه
عاهد نفسه إذا أعطى الفرصة لضرب قتيصة الرقيق فإنه سينهز الفرصة
ويضرب بشدة .

وبما لاشك فيه أن لسكرول كان سيئاً لرؤية سرق تجارة الرقيق ،
وأن مثل هذه الحادثة قد فتحت عينه أثناء رحلته إلى نيو أورليانز —
ولو لم يكن جون هانكس مع لنكولن في ذلك الميناء الجنوبي لما كان

— ٦٧ —

تشهادته هذه القيمة الواضحة . ولم يستطع لنكون أن يجاهر برأيه علانية
في الرقيق إلا بعد ذلك بسنوات .

وعندما عاد إلـب إلى موطنه في إلينوى بعد انتهاء رحلته الثانية في نيو
أورليانز شق طريقه إلى بلدة (نيو سالم) . وكم كان رئيس الولايات المتحدة
المقبل قانعاً بوظيفة كاتب في مخزن خشبي في قرية لا يتعدى عدد سكانها
مائة مستوطن !

الفصل السابع

قرية "يونان" ومهر القصر الأسود

« ووصلت إلى قرية «نيو سالم» .. حيث اشتعلت هناك كائناً في عزن ..
وبعد أن نشبت حرب الصقر الأسود انتخبوني قائداً لفرقة من المتطوعين .
وبهذا الفوز شعرت بسعادة لم أشعر بها من قبل .. »

أ . لنسكولن

اعتبر إيب لنسكولن نفسه عندما وصل إلى قرية (نيو سالم) في أواخر
يوليو ١٨٣١ كأنه قطعة من الخشب منساقة مع التيار لا يعرف له طريقاً . ولم
يكن يتقن أى عمل سوى القليل الذى تعلمه عن الزراعة والتجارة وقيادة
القوارب . وكان مازال بدون هدف محدد ، بدون طموح مركز أو موهبة
محددة . ولكنه بعد أن ترك تلك القرية بعد ذلك الوقت بستة أعوام ليستعد
لممارسة القانون كمنحام شاب ناجح ، كان قد بدأ طريقه نحو هدفه العظيم .
ولكننا بذكر هذه التفاصيل نسبق الحوادث قبل وقوعها .

بعد وصول لنسكولن واستقراره بقليل بدأت انتخابات أغسطس .
والأول مرة باشر لنسكولن حق الانتخاب . وكان في تلك القرية أثناء ساعات
الطعام يسلي الموجودين بنكاته وقصصه الغريبة التى أثارت انتباه كل الموجودين ،
وهكذا أصبح هذا الشخص الطويل الدود محبوباً من جيرانه الجدد .

واستفاد لنسكولن من الأسابيع العديدة التى كان ينتظر فيها وصول
البضائع التى وعده بهار دانتون أوفات) ، للمخزن الموجود على شاطئ

النهر في التعرف على القرية الجديدة وسكانها . وكان جيمس رتلدج وجون
كامرون قد استقر في القرية قبله بعامين وأقاما فيها الطاحونة الوحيدة .
وامتلاأ أحد جانبي شارع القرية الوحيد بحوالي اثني عشر كوخاً تموج
بسكانها من الرجال والنساء والأطفال ، وسرعان ما أصبح لهذه القرية حداد ،
وصانع أحذية ، وصانع براميل ، وتاجر لحاف ، وطيدان لتجيير العظام .
واجتذبت حانة ولیم كلارنى عدداً من المستوطنين لا يقل عن العدد الذي
اجتذبه الصلوات التي كان يقيمها المبشرون النظاميون والعمدانيون
والمشيخيون . ولكن الحانة هيأت كذلك للشباب حالة نفسية لمقاطعة
هذه الصلوات .

وما أن وصل دانتون أوقات إلى (نيو سالم) بالبضائع ، حتى كان
ليكون على صلة طيبة بجميع القرويين . وبقى أمامه أن يكسب احترام أبناء
(مجروف) الشباب الذين كانوا يأتون إلى القرية في جماعة مساء كل سبت ،
مندفعين كأنهم الهنود ، يشربون استعداداً لقتال كل من يتصدى لهم . وكانت
حانة كلارنى التي تبعد مسافة ثلاثين خطوة من مخزن دانتون أوقات هي مركز
التجمع في (نيو سالم) لهذه الجماعة التي كانت تتنافس متسابقة بغضب إما على
ظهور الخيل وإما على الأقدام . أو كانوا يظهرون براعتهم في الوثب ورعى
المطرفة أو المصارعة من أجل حب القتال وحسب .

كان أوقات رجلاً قصيراً محباً للزهو ، ولم يكن ليحمل دقيقتين في
المشاجرة مع أحد أبناء كلارنى جروف . لكنه كان يتفاخر دائماً بأن
السكاب الذي يعمل عنده وهو إيب لنكون يستطيع أن يهزم أيًا منهم في
مبارزة المصارعة ، حتى إنه تراهن مع أحدهم بخمسة دولارات ليثبت صحة
ما يقول . وما أن عرفت قرية نيو سالم بأن جاك أرمسترونج بطل أبناء

جروف ، الذى كان معروفاً بأنه أحسن مقاتل ومصارع فى كل تلك المنطقة سوف يتصارع مع عملاقهم الجديد إيب لنكون ، حتى ابتدأ كل من بالقرية فى المراهنة على من منهما سوف يكتسب الصراع .

وتمت هذه المصارعة المشهورة مساء يوم سبت وهى التى كتبت فيما بعد نصراً سياسياً للنكون . فى حلقة من المشاهدين المتشوقين لرؤية المصارعة ، تلاحظ جاك وإيب وتماسكا كل يبحث عن نقطة الضعف فى زميله . ومع أن جاك كان أقصر من إيب إلا أنه كان مفتول العضلات ، وكانت بذته قوية كالثور ، وعضلات كتفيه وغذيه تابع تحت أشعة الشمس . وكانت عضلات لنكون قرية كالعثة لكنه كان يعلم أنه يواجه خصماً قوياً أيضاً .

واختلفت الزوايا فى كيفية انتهاء المصارعة ، ولكنها أجمعت كلها على أن إيب استطاع بعد صراع عنيف أن يوقع جاك بكل جدارة . وما إن فعل ذلك حتى التف حوله كل جماعة كلابى جروف ، فأسند إيب ظهره إلى حائط لتتاح له الفرصة لملاقاتهم جميعاً واحداً واحداً . لكن أرمسترونج الذى أثبت أنه رجل رياضى نهض من الأرض ودفع رفاقه جانباً وسلم على لنكون بيده ، وأصبح مع زوجته حنا أصدقاء لنكون مدى الحياة ومن أكبر مشجعيه السياسيين . ورد لهم لنكون هذا الجمل بخدمات ما كانوا يحملون بها . ولما استطاع لنكون أن يثبت أنه يستطيع أن تغلب على كل من بالقرية فى الجرى والقفز ورمى المطرقة ، بدأ الجميع يتقبلون قيادته بسهولة . وبالرغم من ذلك فإن أحداً لم يلاحظ عليه أنه كان يشرب أو يقامر أو يتباهى بقوة .

كان رجال مناطق الحدود يعجبون بالعقل كما يعجبون تماماً بالعضل . جد الرجال الستة المتعلمون فى تلك القرية عدة فضائل فى لنكون إلى

جانب قواه الجثمانية . وأطوع المدرس متورجر اهام بسرون لمساعدة إيب في النحو والرياضيات . وحبيب جاك كاسو ، الذى كان يكتسب معيشته من صيد السمك وإلقاء الشعر ، لىكون في روايات شكسبير وشعر روبرت بيرز . ووجد لىكون فرصته الأولى الجدية للخطابة في الجمعية الأدبية المحلية . ولم أعجب جيمس رتلدج والدكتور فرانسيس زائيه بفصاحة لىكون وبلاغته ، وتحققا من أن لىكون الصنوبر يحتاج إلى قليل من التدريب والصقل لتنمية مواهبه ، وليصبح متحدثاً بارعاً ومؤثراً .

وأثبت لىكون في مجال واحد فقط عدم كفايته إذ لم يستطع في مخزن أوفات ان يثبت أنه رجل أعمال ناجح . حقيقة إن الناس أحبره لدهائة خلقه ومودته وأمانته ، لكن لىكون كان أكثر اهتماماً بقراءة الكتب وحكاية القصص أكثر من اهتمامه ببيع الملع والسكر والشاي . وسرعان ما ينس أوفات من نجاح بيع محتويات مخزنه وترك القرية بحثاً عن تجارة أخرى . وما أن جاء الربيع حتى أصبح لىكون بدون عمل ثابت . وبناء على اكتساب لىكون عدة صداقات خلال الشهور السبعة التي قضاه في نيو سالم ، فقد أعلن بكل ثقة في التاسع من مارس عام ١٨٣٢ . أنه سوف يرشح نفسه في الانتخابات القادمة لمجلس الولاية .

كتب لىكون أول خطبة سياسية له بمساعدة متورجر اهام وآخرين . وبالرغم من قصرها إلا أنها استحوذت على ناخبي مقاطعة سنجامون . وكان صريحاً في مؤازرة هنرى كيلي معارضاً لآندرو جاكسون الشهير . وبنى خطبته على حقائق من الواقع التي كان يحيط بالقرية ، فطالب بتخفيض نسبة الربح على القروض . وبالطبع كان معظم الناخبين مدنيين ، وطالب بإعطاء فرص أكبر للتمام . ولم يكن هناك مدارس بالمعنى المفهوم ، وطالب

بتحسين المواصلات في نهر سنجامون إذ كان يعتقد أن السفن من نخولة ٣٥ إلى ٤٠ طناً يمكنها أن تصل إلى فورك الجنوبية على نهر سنجامون . وأنهى خطبته الأولى بفقرة كسبث له تأييداً كبيراً . . . فقد قال . . .

« لقد ولدت وبيت أعيش في طرقات الحياة المتواضعة . . وإذا شاءت حكمة الشعب الطيب أن يبقيني بعيداً فأنتي قد تعودت تحمل خيبة الآمال . . بدون ألم . . صديقكم المواطن . . أبراهام لنكولن . . »

وكان لما أكد أهمية النقل النهري الرخيص ، اهتمت قرية نيو سالم وكل القرى المحيطة بها بنهر وصول المركب البخارى « تالزمان » بقيادة القبطان فنسنت بوج ، وكانت تحمل بضائع من سانت لويس . ورسست السفينة على شاطئ نهر سنجامون على بعد ستة أميال شمال بلدة سيرنجهفيلد . وكانت الأجرة التي تقاضتها هذه السفينة هي ٣٧ سنتاً لكل مائة رطل . وكان هذا المبلغ يمثل نصف ما يكلفه النقل بالبر . وتخيّل المزارعون مقدار الرخاء الذى سيأتهم إذا ما استطاعوا شحن بضائعهم ومنتجاتهم بهذا الرخص من إلينوى وإلها .

ولقد كان الفضل لايب لنكولن مرشح المجلس التشريعى بالبلدة في أن يقود فريقاً من الرجال ، يتسلحون بالعصى والفؤوس الطويلة ويسيرون أمام السفينة يشذبون الطريق من الأضغان المتدلية . وكان من بين المشاهدين لهذا النشاط على الشاطئ الشاب بيلي هزندون البالغ من العمر ١٣ سنة ، والذى أصبح فيما بعد شريكاً في العمل بالقانون وكتب قصة حياته والمعجب به كبطل . ولم ينس (هزندون) أبداً قيادة لنكولن للرجال الذين كانوا يفتشون الطريق أمام (تالزمان) بفؤوسهم .

وما أن وصلت السفينة تالزمان حتى قوبل طاقم السفينة بعاصفة من
الترحيب . وأفرغت شحنة السفينة ، وأكملت سيرها منحدرة في النهر .
ولكن لسوء الحظ لم يكن النهر عميقاً ، واستطاع لنكولن الذي كان مساعداً
للقيبأن أن ينجح في العودة سالماً بالمركب بعد أن يتسكبد الكثير من المشاق .
ونجبت الإثارة التي كانت قد صاحبت وصول السفينة تالزمان . وكان
السبب في هذه المرة موجة من الخوف والهلع اكتسحت كل تلك المنطقة .
فقد بدأ الصقر الأسود ، الزعيم المقدس لقبيلتي الساك والفيكر ، في تجميع
قواته التي بلغت نحو أربعمائة محارب هندي مسلح ، عبر بهم نهر المسيسي
وأصبحوا يهددون المستوطنين البيض لاسترداد حقول القمح التي كانت
تجمعهم من قبل . وقد يشعر الإنسان بالشفقة من أجل هذا القائد الشجاع
وقبيلته التي حرمت الغنى والحقول التي أعطت شعبه الحبوب لمدة طويلة من
قبل . فلقد اعتقد الصقر الأسود من خلال خبرته أنه لا يمكن بيع الأرض
إذ أنها هبة الروح العظيمة لأولاده ليعيشوا على إنتاجها . وماداموا يعملون
ويزرعون في هذه الأرض فإن لهم حقاً فيها . وفي اعتقادهم أن الشيء الذي
لا يمكن حمله لا يمكن بيعه . لكن الصقر الأسود بخرقه المعاهدة التي كان
قد وقعها من قبل ، ومهما كانت عدالة مطالبه فإنه أصبح السبب في موت
المستوطنين بالرصاص وجز رؤوسهم . ومن مناطق المستوطنين في شمال
إلينوى جاء الرسل في طلب المساعدات الحربية للجاح . وأذاع محافظ
إلينوى نداءً لجميع المتطوعين الذين سرعان ما تجمعوا وانتخبوا لنكولن
قائداً لفرقته ، بمساعدة نفوذ أولاد كلارى جروف الذين أصبحوا من أشد
المعجبين به . وعين إيب جاك أرمسترونج باشجاويشاً لفرقته . وكما حكي
لنكولن ورفاقه الحكايات المضحكة عن طبيعة قياداتهم غير العسكرية .
وكان رجاله متطوعين ذوي طبيعة فجأة غير حليق الذقون ، ومن الصعب



تعويدهم على النظام . واستطاع لنكون المسيار عليهم أن يؤكد لهم أنه سيقا تل شخصياً كل رجل يخرج عن طوعه ، ولم يكن هو ليحرف الكثير عن المصلحات الجريئة عند ما اقتربت فرقة من بوابة ضيقة لم يستطع أن يفكر في الأمر التي يمكن أن يعطيها لهم للتقدم عبرها سوى أن يصرخ فيهم قائلاً : « قفوا . سوف تنسى هذه الفرقة لمدة دقيقتين رتب أفرادها العسكرية حتى يتم مع مرة أخرى في الناحية الثانية من البوابة » .

لم يكن لنكون ولا أى واحد من فرقته قد رأوا محاربى الصقر الأسود أو سمعوا أصوات طلقات البنادق طلباً للحرب . ولقد أنقذ إيب ذات مرة حياة هندي طاعن في السن كان قد أتى للمعسكر بتصريح البرور . لكنه كان في خطر من أن يطلق الجنود عليه النار . ومرة أخرى ساعد لنكون وفرقة في دفن خمسة من الرجال المليشيا كانوا قد قتلوا في موقعة كوج جروف . ولن ينسى لنكون كيف كان منظر هؤلاء الموتى وفي رأس كل منهم بقعة حمراء مستديرة مكان أثر جز فروة الرأس . كان المنظر مخيفاً واشعة الشمس الحمراء تغطي كل شيء ، وكان أحدهم يلبس بنطلوناً من جلد الغزال .

وفي ذات الوقت كان الصقر الأسود قد وقع في كين وانهمز ، فأسر وسبق إلى واشنطن العاصمة حيث وقف منتصب القامة مرفوع الرأس أمام الرئيس اندرو جاكسون وقال له « أنا زعيم مثلك . لقد حملت بلطى لأتار من الإهانات التي لم يعد شعبي يحتملها . ولوطال صبرى لقال شعبي إن الصقر الأسود أصبح مسناً وأنه لم يعد من قبيلة الساك » .

وقد سرق حصان لنكون منه أثناء إقامته بمعسكره في جنوب وسكسنسون ، وقد كان عليه أن يذهب إلى قرية نيوسالم إما على الأقدام

وإما في زورق . وقد هزأ أبراهام لنكولن بعد ذلك بسنوات ، في إحدى خطبه في مجلس الشيوخ ، من لويس كاص مرشح الحزب الديمقراطي لرئاسة الجمهورية ، وسخر من السجل العسكري الخاص به بيد أن تاريخ لنكولن العسكري في قرية نيو سالم ، نظراً لقصر مدته ، لم يساعده كثيراً في حملته الانتخابية للمجلس التشريعي للمقاطعة . ومع ما تبقى من الوقت القصير ، زار إيب كل البلاد يتحدث إلى المزارعين ويساعدهم في جني محصولهم من الجوب ويخطب فيهم أحياناً ، وفي باريسفيل حينما كان يخطب في مزاد علني لبيع المواشي ، اضطر لنكولن إلى أن يقطع خطبته ليخرج من الجمهور أحد المشاغبين . ثم عاد إلى المنصة كأن شيئاً لم يحدث . كانت خطبته القصيرة التي ألقاها ذلك الوقت مثلاً يحتذى به السياسيون وجديرة بدراستهم . قال :

« أيها المواطنون . أنا أعتقد أنكم تعرفونني جميعاً . أنا أبراهام لنكولن البسيط . ولقد طلب مني كثير من الأصدقاء أن أشرح نفسي لعضوية مجلس الولاية . وبرنامجي السياسي قصير وهام . فأنا في جانب إنشاء بنك أهلي ، وإصلاح النظام الداخلي وفرض تعريفات عالية لحماية منتجاتنا . هذا هو شعوري نحوكم . وهذه هي المبادئ السياسية التي أعتنقها . فإذا قتم بانتخابي ، كنت لكم من الشاكرين . . وإذا لم تنتخبوني كنت أيضاً شاكرأ » .

سقط لنكولن في هذه الانتخابات . وكانت هي المرة الوحيدة التي يسقط فيها لنكولن في انتخابات مباشرة يقوم بها الشعب . لكنه فاز بـ ٢٧٧ صوتاً من أصوات دائرته ضد سبعة فقط . وأصبح لنكولن فعلاً أشهر رجل في قرية نيو سالم بأكملها .

شعر إيب لنكولن المتواضع بالسعادة تغمر قلبه لأنه في صيف عام ١٨٣٢ عرف مقدار حب الشعب له .

الفصل الثامن

صاحب المحرم المختلف

« تلاميذ المتجر في طرفة عين »

أ. لنسكول

عمل لنسكول خلال السنوات الخمس التالية صاحب حانوت ورئيساً لمكتب البريد ، ومساحاً ومقرراً لاجتماعات مجلس الولاية . ثم رخص له بالعمل في الحمامة . ولقد نجح في جميع هذه الأعمال باستثناء أولها . وعلى كل حال فقد كان سيء الحظ فيما يتعلق بأعمال الحانوت حتى إنه رغم بدئه مفلساً غادر قرية (نيو سالم) إلى سبرنجفيلد عام ١٨٣٧ وهو مدين بما يقرب من الألف دولار .

من المحتمل أن إيب تذكر المركز المحترم الذي كان يشغله جيمس جنترى صاحب المتجر في إنديانا ، فعل على أن يصبح مثله تاجراً . ومن المؤكد أنه كان يستمتع وهو خلف طاولة البيع بالتصالات المستمرة مع جيرانه ، بفرصة سرد الحكايات عليهم . وفوق كل هذا فقد كانت هناك فرصته الكبرى في تمتعه بالرقاد على طاولة البيع وقدمه تستندان على الحائط فوق مستوى رأسه يقرأ كل كتاب يقع بين يديه الضخمتين الحشمتين من جراء الأعمال اليدوية التي مارسها .

وقد ذكر لنسكول فيما بعد أنه كان شغوراً بالبقاء في قرية نيو سالم بين

أصدقائه الذين عاملوه « بمنتهى الكرم والنبيل » ، ولقد فكر أن يتعلم مهنة الحدادة ، كما ذهب تفكيره إلى دراسة القانون مع علمه بأنه لن ينجح في ذلك دون دراسة أفضل .

وكانت دهشة — وقت أن كان بلا عمل وبم حاجة إلى إبقاء الروح والجسد معاً على قيد الحياة — عندما عرض رجل أن يبيع — ولقد باع فعلاً إلى لسكون وإلى رجل فقير آخر مثله — كمية من البضائع القديمة على الحساب . واقتنحاً بهذا عملهما كتاجرين .. وطبعاً لم يفعلوا شيئاً سوى إمعانهما في الديون .

ومن كثرة ترديد قصة المتجر الذي « تلاشي في طرفه عين » ، أصبحت تلك القصة تبدو كأسطورة . لكنها قصة واقعه . فقد انكب شريكه ولیم فیری على عب الويسكي من البراميل ، في حين انغمس لسكون إلى أذنيه في قراءة الكتب ، وبذا توصل الاثنان إلى إفلاس المتجر في بضعة أشهر . غير أن إيب — الرجل الأعين — الذي كان يفضل السير أميالاً على ألا يزداد عبثاً بسنتيمات قليلة — وجد نفسه مثقلاً بالديون حينما أقلس المتجر . وبعد عدة سنوات من العمل الشاق المضني سدد إيب كل تلك الديون .

وكانت لوحة الإعلانات في حانة (راتلج) قبلة لسكون لرغبته في الحصول على أي نوع من العمل المؤقت ، كشق القضايا أو درس القمح أو كاتب بالمتجر الجديد الذي كان يديره ا . ي . أليس ، لكن لسكون عينه في السابع من مايو ١٨٣٣ رئيساً لمكتب البريد في قرية نيو سالم ؛ وهي وظيفة لجزء من الوقت ربما من خمسين إلى خمسة وسبعين دولاراً سنوياً . غير أنها هبات له أيضاً ميزة الاطلاع على جميع الجرائد التي كانت ترسل بالبريد إلى المشتركين بالريم .

وهناك في ولاية إنديانا اشتهر إيب بأنه (رجل الأخبار) لتلاوته موجزاً لكل الأنباء التي كان يتمكن من تذكرها من الجرائد التي كان يقرأها بشغف . واشغفه بجمع المعلومات عن العالم والشؤون الدولية والمقالات السياسية ، واصل لنكون استيعابه لما كانت تحويه مختلف الجرائد مثل جريدة (ميسوري ريبابليكان) في ولاية سانت لميس ، وجريدة (ميسيفيل) وجريدة (ناشيناال انتليجنسر) في واشنطن ، وجريدة (سانجامو) في سبرينجفيلد وكان غالباً ما يرى في قرية نيو سالم وسط مجموعة من الناس يقرأ لهم بصوت مرتفع إحدى الجرائد التي لم يتسلمها صاحبها بعد من مكتب البريد .

كان يهيج لنكون أن يقوم بتوزيع الخطابات وهو في طرقة كما طالب مزاجه لذلك . وكان يضعها في قبعته التي أصبحت على مر السنين حقيبة ملائمة للبذكرات القانونية والمستندات ومختلف المراسلات ، وباختصار كل شيء بود صاحب القبعة أن يكون في متناوله يده . وكان على إيب كما رفع قبعته لتحية سيده أن يحرص على ألا يكون قد أسقط منها شيئاً من الورق .

ومن الواضح أن أبراهام لنكون الشاب لم يدخر ثروة في قرية نيو سالم إذا ما انصب حديثنا عن المال فقط . لكنه كان يدخل ثروات أخرى كلها فكرية . قواعد اللغة والرياضيات . وفي مدة وجيزة قواعد المساحة ومبادئ القانون .

ويكاد المرء يعتقد في قرية نيو سالم أنها قد خلقت بطريقة سحرية لغرض واحد هو مساعدة أبراهام لنكون ليتطور إلى الرجل الذي صار إليه أخيراً . تلك المدينة الصغيرة التي تأسست قبل وصول لنكون إليها بعامين فقط ، واختفت بعد مغادرته لها بعامين من الخريطة بطريقة مؤثرة .

وكأنما كان ذلك إثر إشارة من عصا بعض السحرة . فلقد ظهرت أكواخ خشبية على أعلى (سنجامون) وكأنما استدعت إشارة من عصا السحرية مجموعة من الممثلين من خلال الهواء الرقيق (كما في مسرحية « العاصفة » لشكسبير — التي قد يكون جاك كيلسو قد قرأها على لسانكون في بعض الأمسيات الساكنة) .

وبينما كان هؤلاء يسكنون في أكواخهم بقرية نيو سالم ، فإن هذه الشخصيات في درامة لسانكون كانت من المؤكد حقيقية . وغالباً ما لعبت دوراً هاماً في تطوير حياة إيب . فثلاً كان مساح قرية سانجامون وهو جون كاهون من سبرنجفيلد ، هو الذى عرض على لسانكون وظيفة مساعد له في إقامة حدود المزارع ، وإنشاء المدن ومسح الطرق الجديدة . ولم يكن إيب يدرك شيئاً عن هذه المهنة . وعلى ذلك فقد ذهب ليقم مع المدرس منشور جراهام الذى كان يجلس مع لسانكون كل ليلة شارحاً له طريقه فلنت في الهندسة .. لبحثاً معاً دراسة (جيبسون) المساحة العملية . واشتكت ساره زوجة جراهام أن زوجها ولسانكون يتحدثان بجوار المدفأة تاركين إياها مستيقظة حتى ساعة متأخرة بعد منتصف الليل .

وبعد بضع سنوات كان جراهام يشيد بأنه خلال حياته الطويلة كمدرس لم يكتشف أحداً يتعلم في سرعة لسانكون « المولع بالبحث ، والشاب المطلق إلى الأمام سعيًا وراء المعرفة والآداب ، متفوقاً على أى شخص آخر من بين الآلاف الخمسة الذين قمت بتعليمهم بالمدارس » .

وسرعان ما تمكن لسانكون خلال الضباب الكثيف ، مستعيناً بالوصلة والسلاسل من اختراق النباتات المتشابكة والبلابل السام ، لإزالة الأعشاب البرية ، وإزالة

الكتل الخشبية، والخوض في المستنقعات أثناء تخطيطه للزراع والطرق في
أواسط ولاية إلينوى. وكان يتقاضى دولارين وخمسين سنتاً في مقابل مسح
قطاع (حوالاً مائة وستين فداناً) بالإضافة إلى دولارين يوماً للمصاريف
التي كان يتكبدها. لكنه لم يكن في أغلب عملياته يتقاضى أتعابه نقداً. ففي بدء
أعماله كانت مكافأته عن إحداها وعشرين أو على الأصح جديدهما اللذين قامت
حنا أرمسترونج زوجة جاك باستعمالهما في ترقيع سراويله لنقصها شر الترقق
من الأشواك وفروع الأشجار الجافة التي كانت تحتك به أثناء قيامه بالعمل.

ولم تكن أى من هذه الوظائف أو كلها مجتمعة معاً لتكفي لنسكون في
حياته ولتسد ديونه أيضاً. وإمعاناً في البؤس الذي كان يلاحقه، تم الحجز
على حصانه والسرّج والجام وآلات المساحة بواسطة أحد الدائنين وبيعت
في المزاد العلني. ولحسن الحظ رسا المزارع على صديق فأعادهما إلى إيب دلالة
على إيمانه بالمساح الشاب المكافح.

اعتمز نسكون في بديّة عام ١٨٣٤ مرة أخرى، ترشيح نفسه للمجلس
التشريعي للولاية. وانتخب بمساعدة كل من الديموقراطيين والأحرار. وكان
باولنج جرين مؤيد الديموقراطي بينما كان جون ب. ستيررات المحام الشهير
في سبرنجفيلد ومرشح الأحرار في الجمعية العمومية يدير الاستراتيجية في حزب
نسكون الخاص. وأصبح ستيررات كذلك متولياً لأمر نسكون في المهام
الأخرى، بوجهه للسير في أصعب الخبايا في سياسة الدولة عندما انعقدت
الجمعية في فانداليا في ديسمبر التالي، ويبحث نسكون على قراءة القانون معيراً
إياه الكتب اللازمة. وانتهى من ذلك بأن جعل من إيب شريكاً له في المحاماة
بعد مرور سنوات قليلة.

ومنذ ذلك الحين، بالإضافة إلى جميع دراساته الأخرى، صار نسكون

يقرأ تعليقات (بلاكتون) ومرافعات (شيتي)، محاولا استيعابها كدعامتين كلاسيكيتين في التدريبات القانونية .

واستمر إيب في غضون خريف سنة ١٨٣٤ في مسح الأرض وقبول وظائف شاذة . ثم اقترض مائتي دولار من صديقه كدليمان سموت ، واشترى بستين دولاراً منها أول بدلة حاكمها له ترزي واستعد لإظهار نفسه داخل دار الجمعية العمومية في فانداليا ثم في عاصمة ولاية إلينوى .

وفي تلك الأيام — في أواخر نوفمبر والطرق مليئة بالأوحال — حينما كانت غربة المسافرين المملوطة بالأوحال تتأرجح عبر مروج قرية فانداليا النائية على طريق كامبرلاند غير الممهّد ، لم يكن هناك ما يثير اهتمام المشاهد سوى مبنى المجلس التشريعي ذى الطابقين . ووصول أعضاء المجلس التشريعي وعائلاتهم بسبب انعقاد الدورة الحالية للمجلس . أما بالنسبة إلى لسنكون الذي لحق بستيوارت إلى الحانة حيث قررا الإقامة بها فكانت هذه المدينة ذات الستائة نسمة مجالا للفرص المتألقة .

ولا جدوى من تنبّع هذا العضو الجديد في مجلس الولاية من مقاطعة سانجهاون خلال الدورات الأربع التي اشترك فيها بالمجلس التشريعي لولاية إلينوى . ففي الحقيقة كان إيب يتعلم مبادئ السياسة في مدرسة شاذة . ولكن ما يمكن أن يحكم به مراقب غير منصف هو أن يقول إن ما أخرزه لسنكون من تقدم هو انتقاله من « شق » الأخشاب إلى « دحرجتها » . ودحرجة الأخشاب في غز السياسة الأمريكية معناها رد الجبل . فهو يصوت لمسألة ينجي تمريرها سياسياً آخر في مقابل ما يسديه له هذا السياسي من معروف مماثل . ومن سوء الطالع أن السياسيين في هذه الأيام يقدمون على نفس هذه الاتفاقات مثلبا كإن الحال في عهد لسنكون :



وخلال السنوات الثمان الى قضاها لم يلب عضواً في المجلس التشريعي وصل إلى مركز « زعيم الأقلية » مسيطراً على سياسة ولايته . وغالباً ما كان قادراً على حيازة الضغط الشديد للتأثير على أعضاء المجلس الآخرين حينما كان يرغب في تمرير تشريع ما .

وولاية لينوى مثل أى ولاية أخرى في ذلك الوقت كانت تقدم في هوس على الإصلاحات الداخلية . فقد كانت الطرق والقنوات وخطوط السكك الحديدية مطلوبة لإلحاح داخل الحدود كلها . ولكن في سنة كانت فيها ميزانية الخزائن في ولاية لينوى ألنى دولار فإن أقصى حالات الجنون تبدو في التصويت على مشروعات القنوات والمواصلات الأخرى التي تتكلف الملايين من الدولارات .

وفي خلال السنة الثالثة لعضوية لسكون ، استغل كل قواه السياسية الخارقة لتكديس الجهود من أجل إنشاء الطرق الحديدية التي كانت تحتاجها كل قرية من قرى ولاية لينوى .

ولسكونه رئيساً على « التسعة الطوال » من قرية سانجيامون (سبعة من أعضاء المجلس التشريعي وعضوان من مجلس الشيوخ بالولاية ، طول قامة كل منهم ستة أقدام) وكان لسكون أطول من المجموعة ، انتفع بتماثل طول وقوة هؤلاء الرجال الكبار للسيطرة بقوة على المجلس . فقد طالب الديموقراطيون بوسائل المواصلات الجديدة ، وطالب لسكون وأصدقائه بانتقال العاصمة من فانداليا إلى سيرنجفيلد . وكانت الدرجة دائماً تعطى النتائج المرغوبة . فقد تم التصويت على الطرق والقنوات والسكك الحديدية . وكذلك تغير موقع عاصمة الولاية . واحتفلت سيرنجفيلد بانتصارها العظيم على فانداليا . واحتقن هناك بلنكون الذي عمل كثيراً لتحقيق غاية سيرنجفيلد . كما لو كان بطلا .

تعرف لنكونل أثناء وجوده بفانداليا برجلين أصبحا فيما بعد من خصومه السياسيين . أحدهما كان جيمس شيلدز ، الذى تمضى لنكونل ذات يوم للمبارزة . بينما كان الآخر هو ستيفن أ . دجلاس ، وكان قصيراً مكنتراً شرساً ولماحاً فى نفس الوقت . لم يكن مقبولا البتة . وقد واجهه لنكونل فى سلسلة من المناقشات المشهورة فى أواخر عام ١٨٥٠ والتي كانت تدوى أنبأها عبر القارة كلها . . وفى مأدبة عشاء أقيمت فى إحدى الحانات راقب لنكونل شيلدز ودجلاس وهما يرقصان الفالس فوق المنضدة الطويلة بين صيحات الساسة المشهورين . وفى اليوم التالى دفع شيلدز ستائة دولار قيمة ماتهمش من أطباق وأوان زجاجية فى ذلك الوقت الذى كان يكفى منه ذلك المال لشراء مزرعة كبيرة وخصبة فى نفس الوقت .

وإذا كان لنكونل قد زاول السياسة « عملياً » . فلا يفهم من ذلك أنه لم يتشبث أيضاً بكثير من أحلامه ومثله العليا . فمع الإصلاحات الداخلية وإعادة عاصمة الولاية إلى مكانها ، وجد لنكونل الفرصة ليعبر جهرأ عن آرائه فى الرق — وهى الآراء التى لم تتغير فى السنوات الأربع والعشرين التالية لإلغائها . وقد جعل المجلس يدرك شعوره بأن الرق يقوم على الظلم . والسياسة الخاطئة ولكنه لم يناد بإلغاء الرق . ولم يكن يشعر بأن للحكومة الفيدرالية الحق فى التعرض للرق فى تلك الولايات التى كانت قد انتشرت فيها قبل ذلك ، ولكنه كان يدرك أن الكونجرس يمكنه إلغائه فى مقاطعة كولومبيا .

وهكذا رغم حداثة سنه ، بدأ لنكونل يعبر عن عقيدته بأنه لا يجب السماح مطلقاً لشر الرق أن يتفشى .

وعودة إلى قرية نيو سالم ، حيث كان لنكونل يقضى الأشهر بين دورات المجلس التشريعى للولاية ، كانت تعيش هناك فتاة العينين ذات شعر أسود

عائل إلى الحجرة تدعى آن راندلج ابنة جيمس راندلج ، وهى التى كان من المقرر لها أن تتزوج من يدعى جون ماكنيل (وكان اسمه الحقيقى ماكنهارا) ، الذى راجل عام ١٨٣٢ إلى الجنوب ليرتب ششون أسرته . وكان من المعلوم أنه سوف يعود للزواج من آن بمجرد الانتهاء من مأموريته . ولكن مع مرور الوقت توقف ماكنهارا عن الكتابة إلى خطيبته ، وانقضت سنوات ثلاث طوال ، ولم يكن لأحد أن يلوم أيأ من آن وإيب على اعتقادهما أن ماكنهارا قد غير رأيه .

ولكن هل تقدم لنكون لخطبة آن ؟ وهل وافقت هى عليه ؟ وهل كانت وفاتها عام ١٨٣٥ ضربة قاضية إلى لنكون حتى إنه أوشك فى وقت ما على أن يفقد عقله ؟

لقد رفض أقدر المؤرخين المعاصرين بلا استثناء تقريباً تصديق قصة هذا الغرام . ودليلها فى الواقع واه جداً . ما من أسطورة فى حيات لنكون كلها ، لقيت شغف الجمهور المتزايد على تقبلها . وقد حفرت على شاهد قبر آن الخالى قصيدة شعرية وضعها إدجار لى ماسترز ، وهى أنشودة شجية مهداة إلى الفتاة التى عرفها لنكون والتى ماتت فى ريعان شبابها :

من فؤادى ثافهاً غير معروف

ارتجافات ألحان لا تموت

« بلا حقد تجاه أحد . . بالإحسان للجميع »

من فؤادى . . عفو الملايين نحو الملايين

وبوجه أمة . . . سخي أمين

يشرق بالعدل . بالصدق المبين

— ٦٣ —

أنا ، آن راتلج ، التي ترقد تحت الثرى
أحبها أبراهام لنكولن في حياته ما انبرى
زفت إليه ، لافى انحداد
بل فى انفصال .
أينى للنهية يا أيتها الجمهورية
من ثرى صدرى .

من الذى يمكنه الآن أن يعرف ما كان يكن فى قلبى شاين منذ عدة
سنوات انقضت فى قرية كان لها أن تتلاشى مثل ضباب الصباح ؟ ربما كانت
قصة آن راتلج لم تخرج عن كونها إحدى تلك الحكايات العاطفية التى تبدأ
بكان .. ياما كان .. ولكن .. أسوة بكثير من أساطير الحب المخزنة فقد
صنعها التاريخ بأسلوبه الخاص .

ومهما كانت الحقائق ، فقد بدأت قرية نيسوسام حيناً من الوقت تفقد
سحرها فى نظر أبراهام لنكولن . فى إبريل عام ١٨٣٧ حينما كان إلب فى
الثامنة والعشرين (وأمامه ثمانية وعشرين عاماً أخرى ليعيشها) نزح إلى
سبرينجفيلد لبدأ تدريبه على القانون .

ترك خلفه ذكريات كثيرة عن المتجر الذى « تلاشى فى غمضة عين » ،
ورئيس مكتب البريد ، وهى الذكريات التى هيات له فرصة قراءة الجرائد
المشوقة دائماً ، وشق القضبان ، ودرس القمح ومسح الأراضى .. ترك
الذكريات عن الأحاديث الطويلة الشيقة ، حول وهج المدفأة مع أصدقائه
العديد .. عن الكتب التى قرأها .. عن الأصوات التى كان يعطيها له جيرانه
دائماً كلما رشح نفسه .. وعن فتاة كان قد عرفها وهى التى ترقد الآن تحت

- ٩٤ -

ثرى المراعى .. وبعد عامين آخرين أصبحت نيو سالم قرية خيالية . وكما ردد
بروسبيرو أحد أبطال روايات شكسبير :

هائم ممثلونا
كما أخبرتك .. كلهم أرواح
ذابوا فى الهواء ، هواء رفيع تذروه الرياح .
هاقد التصقنا
كألاحلام التى بنيناها
وحياتنا القصيرة ذهبت حين نمناها ...

الفصل التاسع

الأيام الأولى في سبرنجفيلد

« لقد درست القانون ، ونزحت إلى سبرنجفيلد لمارسته »

أ . لنكولن

أصبح جو شواب . سيد ، وهو الشاب الوسيم والتاجر الناجح الكونتياكي
النشأة ، بسرعة أفضل أصدقاء لنكولن . يتذكر إيب وصوله المتواضع إلى
سبرنجفيلد ، حيث كان على رئيس المستقبل أن يقضى فيها الأربع والعشرين
سنة القادمة . جاء إليها على حصان معار ، وكل ما يمتلكه في الخرجين اللذين
ألقاهما على ظهر الحصان وراه . ويستفسر لنكولن عند دخوله متجر
سيد « عما يتكلفه فرش السرير المفرد » وحينما يحسبها سيد يجدها تصل
إلى ١٧ دولاراً . ويقول لنكولن إنه على الأرجح رخيص بما فيه الكفاية ،
لكنه يضيف ، « رخيص على ما هو عليه ، فلا يوجد معي نقود للدفع .
ولكن إذا ما أقرضتني حتى عيد الميلاد وجمعت خبرتي هنا كحام ، حيث
سأدفع لك . وإذا فشلت في ذلك ففي الغالب لن أدفع لك مطلقاً . »

اتخذ سيد قراراً سريعاً عندما تأمل الرجل الطويل غير الوسيم والذي
كان وجهه في بخلة الكثيرين أكثر كآبة لم يروا مثلها من قبل ، فقال للباحي
الشاب المكتئب الذي كان متكئاً على طاولة البيع .

« بما كان مثل هذا الدين سيؤثر بشدة عليك ، فأعتقد أنني أستطيع أن
أقترح خطة تتمكن بها من تحقيق هدفك دون تحمل أي دين . فلدي غرفة

واسعة جداً وسرير كبير يتسع لشخصين... وإني أرحب بك تماماً إذا شاركني إياها إذا أردت .

وتساءل لنكولن « أين هي هذه الغرفة ؟ ، فأجابه سيد « في الدور العلوى » . وأشار إلى درج يوصل إلى الطابق العلوى ، لحمل لنكولن الخرجين صاعداً الدرج كل سلبتين في خطوة واحدة ، وعندما نزل مرة أخرى كان يبتسم في ارتياح وقال « حسناً ياسيد . لقد استرحت » .

وعلى الرغم من أن لنكولن ضمن شكواه من وحدته أول خطاب أرسله حال وصوله ، فإنه كان في حالات كثيرة رجلاً محظوظاً . فلم يبيء كرم سيد له البيت فحسب ، لكنه هياً له أيضاً نادياً وداراً للندوات . وهناك في حجرة واسعة خلف المتجر مجهزة بمدةة كان يجتمع فيها باستمرار بشباب المدينة اللامع للمناقشة في الأدب ومناقشة السياسة . وكان سيد كما يبدو قارئاً ممتازاً مثل لنكولن بل كان يعتبر أكثر صقلاً ، وكان هو كاتبه الذكي اللبق بيلي (هيرفدون) ، من المنتظمين في حضور تلك المحادثات ، وفي بعض الأحيان كان الشاب السامي الناجح ستيفن دجلاس يجتمع معهم ، وبقدر ما كان قصيراً جداً ومن الديموقراطيين ، كان لنكولن طويلاً ومن « الهويج » وميلاً للمصالحة . وكثيراً ما كان هؤلاء الرجال وغيرهم يتفككون ويتندرون الروايات المسلية ويروون الشعر إلى ساعات متأخرة من الليل . وفي أوقات أخرى كان لنكولن ودجلاس يتناظران في سلسلة من المناقشات السياسية . . وكانا فعلاً اثنين من المناظرين الأفاضل .

وفي نواح أخرى أيضاً ، كان لنكولن محظوظاً ، ففي الوقت الذي اتخذ جون ت. ستيوارت - الذي شجعه على دراسة القانون - من لنكولن شريكاً له ؛ وعلى الرغم من أن دقات ستيوارت ولنكولن الحسائية التي أمسكها



تدل على أن الأتعاب الرسمية التي كانت تحصلها هذه الشركة عن كل استشارة خلال عامها الأول كانت خمسة دولارات فقط ، فقد كانت الشركة محترمة تسير على وفاق .

وفضلا عن ذلك كان لنسكول محبوباً في سبرنجفيلد ، لأنه خطط بذلك التدابير السياسية التي نقلت عاصمة ولاية إلينوى من فانداليا إلى موقعها الجديد في سبرنجفيلد .

ومن واقع تعداد الولاية الذي أجرى قبل ذلك بعامين ، يمكننا أن نتصور مدى الحيوية التي كانت عليها هذه المدينة ذات الألف وخمسمائة مواطن في وقت وصول لنسكول . فقد كان هناك كثير من الحانات مثلما كانت هناك كنائس بلغ عدد كل منها ستاً . ويستطيع القاطن في هذا المجتمع التام أن يشتري السلع الجافة من تسعة عشر مخزناً متفرقة وكان هناك أربعة فنادق وأربعة مخازن للأدوية وأربعة مقاه . كان هناك جريدتان تتنافسان في تلك البلدة وهما اللتان أصبحتا في آخر الأمر تقريباً أبواقاً شخصية للمتنافسين السياسيين أبراهام لنسكول وستيفن دجلاس . كان سيمون فرانسيس المعاضد والمخلص للنسكول يحرر (سانجامو جورنال) ومن ناحية أخرى كان دجلاس يعتمد على الصداقة والتأييد في (إلينوى ريبابليكان) وهي التي أصبحت فيما بعد تعرف (إلينوى ستيت ريجستر) وكان يحررها جورج ر . ويدر .

وكانت أغلب المتاجر والمكاتب تواجه الميدان المركزي أو تنتشر على امتداد شوارع المدينة . وعلى البعد تنتشر سلسلة من المساكن ، خليط من أكواخ خشبية ذات بنية ثابتة من خشب أو طوب .

ولكن في سائر هذه القرية السريعة النمو كانت الشوارع غير ممهدة ،

دوامات من الآتربة في الجو الجاف ، وحفريات عميقة من طين إبنوى الأسود حينما تمطر السماء . وتتمرغ الخنازير على غير هدى حتى في الميدان ، وأحياناً كان عبور الطريق يعتبر تمريناً رياضياً وكانت الحياة في العاصمة الجديدة للولاية خشنة صعبة في كثير من النواحي .

وعلى نقض ذلك، كان لسكل من المدينة الحديثة والحامي الشاب اتجاهات فكرية . وكانت سيرنجفيلد تفخر بأن بها مكتبة وأكاديمية وعدة مدارس خاصة . وكان بها أيضاً جمعية مسرحية وجماعة النهو عن المنكر إلى جانب قاعة محاضرات للشباب ، تلك التي شهدت سلسلة من المحاضرات التي ألقاها بها مشاهير الشخصيات أمثال دانيال وبستر .

وقد لا تتمكن قليل من القرى الأمريكية المعاصرة ذات الآلاف والخصبات نسمة من أن تنشر حالة فكرية مماثلة عن طريق الكتب، كما كانت عليه الحال في سيرنجفيلد وما يتاخمها . وثمة فئة قليلة من المواطنين في ذلك المجتمع الأول كانت أكثر اهتماماً بالنواحي الثقافية من أراهم لنكون .

وامتازت سيرنجفيلد بكرامها للضيف بحرارة . وكان نينيان و . إدواردز وزوجته «إليزابيث تود إدواردز» من ضمن القادة الاجتماعيين لهيئة نموذجية واسعة الانتشار من الكمنثاكيين وسرعان ما انضم لنكون إلى هذه الهيئة . وبصفته شريكاً لجون ستوارت في مكتبة القانوني ، وزعيماً للأحرار في مجلس الولاية ، كان عوناً للجميع رغم ملابسه المزرية ، يتكلم بلسكنة خاصة فيستحوذ على انتباه المستمعين من الذكور الهازلين الذين لا هم لهم إلا دعوة الأناس لمخاصرتهم في رقصه .

وتتناقل الروايات المأثورة ما حدث أثناء حفل موسيقى راقص بمناسبة انعقاد أولى دورات المجلس التشريعي في سيرنجفيلد ، عندما قابل لنكون

فتاة صغيرة ممثلة ، زرقاء العينين لبقة ذات ثقافة عالية ، رقيقة المزاج تدعى ماري تود ، الأخت الصغرى لمسز إد واردز . وقد قيل إن الحجرة كانت مزدانة بالزهور تحت ضوء الشموع ولم تكن هناك فتاة أخرى أكثر تألقاً من الصغيرة ماري تود في الحفل ، وهي في ثوب الرقص العاري الصدر .

ولم يتمكن أبراهام لنكولن الطويل القامة في حلقته السوداء غير المتناسقة من أن يركز فكره على حكاياته المرححة أو أن يركز بصره على الفتاة الغاتة التي كانت ترقص تارة مع جيمس شيلدرز وأخرى مع بعض صغار المحجيين . وأخيراً اقترب لنكولن من الأنسة تود المتألقة بعد أن استجمع شجاعته ، وأسر إليها طالباً الرقص معها « بأرداً أسلوب » . وتقول ماري تود إنها « كانت كذلك بالتأكيد » .

وهكذا بدأت واحدة من أهم العلاقات الغرامية العاصفة التي أدت إلى واحدة من أهم الديناميات المحيرة في التاريخ الأمريكي .

ولم يكن هناك شخصان أكثر تناقضاً من أبراهام وماري . فقد أتيح للنكولن أن يتلقى في أقل من عام دراساته الأولية ، بينما كانت ماري خريجة اثنتين من الأكاديميات الخاصة حيث درست اللغة الفرنسية والدرامة والرقص والموسيقى والأدب والمساعدات الجامعية . لم يكن لنكولن من أصل متواضع لحشب ، وإنما كان يشعر بضعة نسبه إلى أسرة هانكس . ومن ناحية أخرى كانت عائلة تود واحدة من أهم عائلات كنتي . وبينما كان لنكولن عادياً في مظهره ، متواضعاً متفتح الذهن متأنياً ومتساحماً ، كانت ماري متأنقة متزينة تثير الضجة حوله ، مسرفة ومغرورة ، وفي أغلب الأحيان غير متساهلة تنساق في أغلب الأحيان في ثورات الغضب . وبينما كان طموح

لنسكون متواضعاً ، كانت ماري من أكثر السيدات اللواتي عرفتهن
سبرنجفيلد طموحاً .

وفي الوقت الذي أحيط فيه ماري بإعجاب لنسكون ودجلاس شيلدرز ،
كانت تسأل أحياناً عن الرجل الذي تأمل الزواج به فكانت تجيب أكثر من
مرة بأنها ترغب في الزواج من الرجل الذي يبدو أن توليه الرئاسة أكثر
احتمالاً عن غيره . ووجدت في لنسكون ودجلاس خير متنازعين يتنافسان
على نيل هذا الشرف البعيد المنال . ولكن ربما كانت ماري بطموحها الجارف
كفيلة بأن تخلق من أي منهما رئيساً .

ومع ذلك فإن هذه الصورة غير اللطيفة لماري تود لاتعطينا فكرة كاملة
عنها . لجاذبيتها وحيويتها وذاكواها كانت صفات كافية للحكم بها ليأتيها التي أجمع
عليها كثير من المؤرخين المحدثين والروائيين . ومن المؤكد أنها لم تعد لنسكون
إلى أعماق سوداوية المزملة ، لكنها جعلته مسحوراً بها . ولقد تناقش الاثنان
في الأدب والسياسة وهما الشبان اللذان يشتركان معاً في الإهتمام بهما . وتبعاً
لرواية شقيقة ماري بعد أن زارها لنسكون ، « كانت ماري هي البائدة دائماً
بالمناقشة . وكان لنسكون يلمس بجانبها يستمع إليها وقلبا كان يقول كلمة
واحدة ، ولكنه كان يظل محلقاً فيها كأن قوة حفية لاتقاوم شدته إليها » .

وخلال العام الأول الذي تبع لقاءهما بدا أن غرامهما يسير حثيثاً ، ورغم
معارضة عائلة (إدوارد) في أن لنسكون زوج غير مناسب ، فقد أعلنت
خطوبتهما في سنة ١٨٤٠ . أما ما حدث بعد هذا مباشرة فما زال محل جدال
حتى بين أوسع كتاب السيرة خبرة ومعركة . والكثير من هذه السيرة مازال
معتمداً كدخان الهندو الأزرق على طول شاطئ سانجامون . ومع قدوم الشتاء

تحركت الآلام في قلب لنكولن المتعب وفصم خطوبته في أول يناير عام ١٨٤١ ، وما زالت أسبابه الخاصة لفصم تلك الخطوبة غير واضحة .

مرت سنتان من الشقاء لكليهما ، وخاصة لنكولن الذي سيطر عليه الأسى فجعله لا يغادر غرفته لأيام . ووجد لنكولن نفسه مهموماً غير واثق من نفسه ، وغير قادر على اتخاذ قراراته أو على التصرف بحكمة بعد علاقة غرامية قصيرة مع سيدة صغيرة تدعى (ماري أوز) لم تكن على جانب كبير من الجاذبية .

ومن المعتقد أن رحلة لنكولن إلى كنتيكي لزيارة جوشوا سيد ساعدت على استعادته حالته المعنوية وسعادته . أما عن سيد الذي عاد إلى ولايته الأصلية فقد أعلن خطوبته إلى فتاة جميلة تدعى (فاني هينج) ، لكنه كان نافرأ من المضي في الزواج كنفور لنكولن نفسه . ويبدو أن لنكولن حينئذ كان يقنع سيد بأن النفور من الزواج يعتبر منافياً للمنطق ، اقتنع هو نفسه بهذا . وعندما كتب سيد إليه يصف سعادته الزوجية ، أمد هذا الخطاب لنكولن « بسعادة كبيرة تفوق كل ما تمتعت به من ذلك اليوم البغيض من يناير عام ١٨٤١ » .

ومن المحتمل أن زوجة سيمون فرانسيس ، رئيس تحرير جريدة (سانجامو جورنال) هي التي جمعت لنكولن وماري تود مرة أخرى . فقد جعلتهما يستعملان منزلها في مقابلاتهما السرية . وكان مما لاشك فيه أن هذان المتآمران تعاونوا بسرور في كتابة خطابات (المدينة الضائعة) التي كادت أن تكلف لنكولن حياته يوماً من الأيام .

اعتاد أبراهام قبل بلوغه العشرين ، أن يكتب تقريباً موجعاً للأمور تثير روح الفكاهة . لكنه استغل هذه المهوبة باستعمالها في المعاداة السياسية .



فعندما أصبحت لديه الحرية في أن يكتب في جريدة (سانجامو جورنال) وأن تفرد لكتابات أعمدة الجريدة ، وجد إغراء لايقوم نحو الكتابة بسخرية ، والهجوم على بعض أعدائه ، موقفاً على مقالاته بأسماء مستعارة كان من بينها (شبح سامبسون) .

وتخيل لنكون ومارى - ومن المحتمل أنهما وجدوا مساعدة من أقرب صديقات مارى (جوليا جلين) - تخيلاً شخصية كاتبة خطابات جديدة ، إلى جريدة (سانجامو جورنال) وصفت نفسها بأنها مزارعة من (المدينة الضائعة) ووقعت كتاباتها باسم (العمة بيكا) . ولسانها كان حلواً كالكمك ، لاذعاً كالملح . ولم يكن شخصيتها غير خصم لنكون في السياسة (ومن قبل في الحب) الأيرلندى المولد جيمس شيلدز ، مراجع حسابات الولاية .

ولقد ساعد لنكون وزملاؤه الاحرار من حزب « الهويج » على جر الديون الكثيرة على الولاية ، واتخذ موقفاً واضحاً في لوم شيلدز وحزبه على بعض التصرفات المالية للولاية ، والتي كانت أخطاء لنكون سبباً فيها أكثر مما سببها أخطاء شيلدز .

وتطورت المؤامرة ببطء إلى أمور غير مرغوب فيها ، ووجد لنكون نفسه يواجه تحدياً سافراً بالإعتذار أو القتال ، بعد أن نشر خطاباً بالسباب كتبته مارى تود وجوليا جلين في غيبة لنكون ووقعته أيضاً باسم (العمة بيكا) . ولم يكن هناك مفر من الدعوة إلى هذا التحدى . وقد طلبت العمة بيكا إزاء إصرار شيلدز على القتال أن يكون متكافئاً . فيما أن يرتدى شيلدز جولة نسائية وإما أن ترتدى هي سروالا !!

وقد نفذ صبر شيلدز وأصر على أن يكشف المحرر عن الكاتب الحقيقي .

لهذا الهجوم . ولكن لنكون ، وهو المتحمل لمسئولية تلك الخطابات ، حاول أن يعالج المأزق الذى تردى فيه بدون اعتذار على . وعندما فشل فى هذا قبل تحدى شيلدز مضطراً . واختاراً كبر سيوف الفرسان كسلاح للقتال . وكان شيلدز واحداً من معلى لعبة الشيش . ولهذا كان اختيار لنكون للأسلحة يعتبر انتحاراً ، لولا التعاهد الهزلى الذى تم بينهما والذى قبل لنكون بمقتضاه الاتفاق على القتال ، وهو الذى بمقتضاه يوضع لوح من الخشب على حافظه فوق الأرض . وعلى المتصارعين ألا يعبرا لوح الخشب ولا التمهقر عنه بعد خـسـط مرسوم « كل المسافة بينه وبين لوح الخشب لا تتعدى طول السيف بالإضافة إلى ثلاثة أقدام » . ورغم طول خبرة شيلدز بفن المبارزة فإنه ما كان ليستطيع الوصول إلى لنكون ذى الذراعين الطويلين . وفى نفس الوقت فإن لنكون ما كان ليستطيع التمهقر إلى ما بعد الخط دون أن يسه إلى سمعته وذلك ليتجنب ارتكاب الجريمة التى تنتظره وهى غير مرغوب فيها بالمرة . ومرت الثوانى أكثر عنفاً من المبادئ التى من أجلها أثير القتال . واستمر لهيب الغضب يجدد الهوام الذى يزيده اشتعالا . لكنهما عندما تقابلا فى الموعد المحدد على شاطئ ميسورى من نهر الميسيسى أمام ألتون فى ولاية إلينوى ، سويت كل الخلافات بينهما دون قتال .

وعلى كل حال ، كان هناك على الأقل شيان يستحقان الاهتمام نتجا عن هذا الصراع . فلم يعد لنكون يهاجم خصمه إطلاقاً بخطابات مجهولة الاسم من ناحية ، ومن ناحية أخرى لمست ماري تود بحق شهامة لنكون فى الدفاع عنها . وسرعان ما وافقت على زواجهما السريع .

ولم يشهد الاحتفال بالزواج إلا أقرب الأصدقاء عندما تعاهد الاثنان

في ٤ نوفمبر ١٨٤٢ في منزل إليزابيث ونيبيان إدواردز على : « لن نفترق حتى
الممات . على الحلو والمر . بالغنى وفي الفقر . في المرض والصحة »
وهكذا اشترك الاثنان في الكفاح الشاق الطويل ، نحو تحقيق طموح ماري
الكبير : دخول البيت الأبيض مع أبراهام رئيساً للجمهورية ، وماري
كسيدة البلاد الأولى .

الفصل العاشر

عضو الكونجرس ومحام

« في عام ١٨٤٦ انتخبت عضوا في مجلس النواب بالنيكونجرس »

أ. لنكون

كان للنكون في حياته العملية شركاه ثلاثة ، الأول جون ت. ستوارت وهو الذي ذكر من قبل ، ثم ستيفن ت. لوجان ، وأخيراً وليام ه. هيرندون . وعندما حل « ستوارت ولنكون شركتهما معاً عام ١٨٤١ ، تعاون لنكون مع لوجان الذي كان واحداً من أذكي العقول القانونية في إلينوى . كان رافعاً قليل الحجم ذا شعر أحمر غزير ، لا يهتم بمظهره تماماً كحال لنكون . لكنه كان يميز قضاياه بعناية أكثر . ولقد علم لوجان شريكه أن يعطى كتب القانون الخاصة به عناية أكبر وأن يتقن وينظم قضاياه . وقد أصبح لنكون بهذا وكلاء قانونياً أقدر عن ذي قبل على الرغم من أن لوجان وصفه باستخفاف بأنه « محام جيد وظريف » ومعلوماته العامة في القانون « لم تكن أبداً هائلة » .

قرر لوجان عام ١٨٤٤ أنه يفضل ابنه كشریک له . وعندما أصبح لنكون بلا شريك ، دهش « بيلي » هيرندون البالغ من العمر ستة عشر عاماً عندما عرض عليه لنكون مشاركتهم . ويقول هيرندون « كنت مازلت قليل الخبرة . وكنت أعرف مدى حاجتي إلى الحذر والخبرة ، لكن لنكون عندما استمع إلى ما قلته أجاب بطريقة الكريمة الجادة « بيلي ، أستطيع أن أثق بك إذا كنت أنت نفسك تثق بي » . ولقد أحسست ساعتها بالارتياح ووافقت على هذا العرض الكريم .

ولقد كان عرض لنكولن كريماً بحق . ولم يكن عرضه هذا يحمل في جنباته إهمالاً أو عدم دقة في حسابه كما يبدو . أما عن هيرندون ، فقد كان له نشاط سياسي مع جماعة الفترة الجامحة ، الذين كانوا عضواً هاماً لأية انتخابات في المدينة . وكان تعليمه أرقى من تعليم لنكولن نفسه ، وكان حقل معلوماته العامة غزيراً خاصة في الفلسفة . ومن المحتمل أن لنكولن فضل أن يدخل بعض التعديل في حياته فاختر لنفسه مركز الرئاسة في هذه الشركة واختار بيلي هيرندون ليليه في المركز . وتحول احترام الشاب نحو « مستر لنكولن » تدريجياً ليصبح إعجاباً بطولياً به ، لكنه اختلط لاشعورياً ، وإلى حد ما ، بالغيرة .

وبعكس لنكولن في ملبسه المتثنى غير الملائم لجسده ، كان هيرندون متأنقاً يلبس حذاءه رشيقاً من الجلد البراق وقفازاً من جلد الماعز الأزنيق . وكان كلاهما يضع قبعة طويلة من الحرير ذات حافة عريضة على رأسه . لكن قبعة هيرندون كانت لامعة خالية من البقع ، بينما كانت قبعة لنكولن محشوة بالأوراق القانونية . .

وحى وفاة لنكولن ، استمر هذان الشريكان في عملهما معاً دون عقد قانوني يربطهما . يعملان بمجد رغم تباين أخلاقهما . وكانا يتقاسمان أرباحهما منصفة . ورغم أن العلاقة بين هيرندون وماري زوجة لنكولن كانت أوى شيء إلا الصداقة ، فإن العداء السكامن بينهما لم يصل إطلاقاً إلى حد التأثير على العلاقة بين « بيلي » و « مستر لنكولن » ، كما اعتاد أن ينادى كل منهما الآخر .

ولقد كان لنكولن سعيد الحظ في العمل مع شريكه الوديع في المحاماة ، لأن حياته في المنزل لم تكن دائماً مفرحة . لقد أحب كل من لنكولن



ومارى الآخر حباً أصيلاً كما ثبت ذلك بعض خطابات وعدة رقيات تبادلها .
فلقد تقاسما أحزانهما وانتصاراهما معاً وتمتعاً بنجاح حملتهما السياسية بعد
قتال عنيف وكأتهما فريق متكامل الأعداد . كان تفكير كل منهما ذا قيمة
بالنسبة للآخر .

لكن الصداق الذى كان يلزم مارى ، وسورة غضبها الحادة ولسانها
اللاذع حالت دون هدوء البيت . كانت لا ترحم فى نقدها طريقة زوجها
البسيطة فى الحياة وأخلاقه الصريحة وروحه المرحية ، وعاداته الشاذة خاصة فى
القراءة أثناء رقاذه على الأرض وهو رافع ساقيه إلى فوق مستوى رأسه .
وعلى كل حال كانت لمارى نفسها عادات شاذة هى الأخرى . فقد كانت
الرياح العاصفة ترعها إلى حد أن لتكولن كان يسرع إلى منزله بمجرد أن
يلحظ أى سحابة سوداء فى السماء ليعمل على راحة زوجته المرتبكة .

عاش الزوجان فى بداية زواجهما فى فندق سبرنجفيلد فى غرفة وصالة
بأربعة دولارات فى الأسبوع . وولد طفلهما الأول روبرت تود لتكولن
فى ذلك المكان فى أغسطس ١٨٤٣ ، وقد اشترى فى يناير التالى كوخاً بألف
 وخمسمائة دولار ، أحيل إلى مـكن مريح بعد إجراء بضعة إصلاحات وتوسيعات
فيه ، ضمهما معاً حتى انتقلا سوياً إلى البيت الأبيض فى واشنطن عام ١٨٦١ .
وكان يتهما فى سبرنجفيلد هو الذى شهد مولد ثلاثة أبناء آخرين . إدوارد
باركر وكانوا يدعونه (إيدى) الذى ولد عام ١٨٤٦ ، وويليام والاس (ويلي)
الذى جاء عام ١٨٥٠ ، وتوماس الذى عرف (تاد) ، وهو الطفل الأخير
الذى جاء عام ١٨٥٣ ، ومن الأربعة لم يعيش ليلبغ سن الرجولة سوى روبرت
تود لتكولن .

قرب حب الأطفال والخوف على صحتهم والسهرة بجانب أسرتهم فى

مرضهم، بين قلبي أبراهام ومارى، وجعلهما هذا الولع الشديد بالأطفال يجدان صعوبة كبرى فى تعليم صغارهما النظام . وقد وصف بيلي هيرندون الأولاد بأنهم كانوا مدللين، وهو الذى لم يكن عادلا فى حكمه أبدأ على شئ يحبه لنسكون . كان الأطفال يثيرون نائرة بيلي عندما كان لنسكون يصطحبهم معه صباح كل أحد للمكتب . فبينما يكون والدم منهمكا فى القراءة بصوت عال ليسمع نفسه، لاهياً عن الأذى الذى كان يسببه هؤلاء الأطفال، كان الخبثاء الصغار يقبلون الحجرة رأساً على عقب، يزعون أغلفة الكتب ويقذفون بالأدراج ويقبلون الصناديق، يدقون أسنان الأقلام وهى من الذهب الخالص فى حائط المدفأة، ويعثرون الخطابات وسط الحجرة ثم يرتصون فوقها . . « كان إحساس هيرندون دائماً تجاه الأولاد هو أنهم يحتاجون إلى صفعات قوية . لكن لنسكون الذى أحب دائماً أن يلاطفهم ويشاركهم ألعابهم كان يتفق مع مارى فى أن تقويم أخلاقهم سيتم تلقائياً مع مرور الأيام . ومن المحتمل أن ما لقيه لنسكون أيام « ضرب العصا » من والده الدائم الغضب ، وشبابه المرير القاسى ، جعله ليناً مع أولاده متساهلاً . »

وكما ثبت القصص الكثيرة عنه كان لنسكون مغرماً ومحباً للأطفال . كان طوله ست أقدام وأربع بوصات . كما أضافت قبعته الحريرية المتجهة ناحية السماء إلى طوله بضع بوصات . وكان الأطفال المرحون يمدون خيطاً رفيعاً ربطوه فى الأشجار على ارتفاع سبع أقدام فوق الطريق ليسمح بمرور أى شخص دون أن يلمسه ماعدا لنسكون الذى كانت ترتطم قبعته به ، فتقع أوراقه على الأرض فيخرج الأطفال المختبئون فى الأحرش يضحكون ويصيحون وهم الذين كانوا يحبسون أنفاسهم منذ لحظات ؛ ثم يقفزون على كتفيه . وكان أبراهام كالصغار تماماً يسر لنجاح مقلبيهم غير الضار ، ويشاركهم تمتعهم بهذا اللعب والهنر .

كرس لشكون حياته لممارسة القانون ، لكن السياسة كانت شغله الشاغل ..
 فبعد أربعة دورات في مجلس الولاية التشريعي تم ترشيحه بواسطة زملائه
 الأحرار لعضوية الكونجرس . وبعد رفضه مرتين لهذا الشرف ، عملت
 الترتيبات مع زعماء المقاطعة الآخرين من رجال حزبه ليحرب حظه عام
 ١٨٤٦ ، وفي ذلك العام تم ترشيحه من حزب الهويج وفاز بجدارة على منافسه
 الديموقراطي . وبدون إحساس شديد بالسعادة التي كان هو نفسه يتوقعها
 استعد لأخذ مقعده في المجلس النيابي في ديسمبر ١٨٤٧ .

وقام عضو الكونجرس الجديد عن إلينوى ، ومعه زوجته الجميلة المترددة.
 الصعبة المراس ، برحلتها الطويلة إلى واشنطن بالقارب البخاري ثم بالقطار .
 وكانت العاصمة في تلك الأيام تعج بالمحتولين وتعدادها نحو أربعين ألف
 شخص ، منهم ثلاثون ألف أبيض ونحو عشرة آلاف زنجي ، منهم نحو ألفين
 من العبيد . كانت المدينة من أكبر أسواق الرقيق في البلاد تحت سمع
 الكابيتول وبصره .

كان مقر الحكومة في عام ١٨٤٧ ذاقبة خشبية مؤقتة ولم يكن قد استكمل
 جناحيه الحاليين . وفي خيمة البيت الأبيض كانت فرقة موسيقى البحرية
 تعزف بعض المقطوعات لعامة الشعب عصر كل أربعاء وأحد . وبين مبنى المجلس
 التشريعي والنهر كانت تكمن الممرات المليئة بالملايا . وكان طريق بنسلفانيا
 مغطى بالخصى الرفيع وهو الذي كانت تسير عليه عربات الاغنياء محدثة
 أصواتاً مرتفعة وجلبة شديدة . ومن ناحية أخرى ، كانت الشوارع غير
 ممهدة ، حالها كحال شوارع سبرنجفيلد ، مليئة بالحفر والأوحال التي تسببها
 الأمطار ، ومقدار تلك الأوحال كان يتوقف على حالة الجو . كما أن الخنازير
 والبط والأوز كانت تتغذى بأكوام الفضلات الملقاة في الأزقة . كانت
 الأكواخ الحقيبة والقصور الشائخة تقف جنباً لجنب دون أن تكون هناك
 حدود مرسومة .

ولذا لم يكن إحساس لنسكون بالفرح كبيراً بفوزه في الانتخابات ، فقد كانت خيبة أمل ماري في مدينة واشنطن عظيمة . وعلى الرغم من أصلها العريق في كنتكي مسقط رأسها ، كما حدى سليلات عائلة تود ، فقد كان مركزها في حياة العاصمة الاجتماعية تافهاً . فالدعوات التي جاءت بها لحضور مكتبة الحفلات كانت قليلة ومتباعدة إلى حد ما . ونزلت عائلة لنسكون في نزل (بنسيون) كان يشغل المنطقة التي أقيمت عليها الكونغرس فيما بعد ، والتي مازالت هناك حتى وقتنا هذا . وسرعان ما أصبح أبراهام هو الرفيق المفضل للنزل بالنسبة لرؤساء الخدم والنزلاء على حد سواء ، بسبب قصصه التي كانوا يسمعون بسماحها منه بالإضافة إلى أخلاقه الحلوة . بينما لازمت ماري غرفتها ماعدا أوقات تقديم الطعام . واقتصرت صداقتها على عدد بسيط من الصديقات . وبعد حوالي الثلاثة أشهر من هذه الحياة الرتيبة ، عادت ماري إلى حياة الانطلاق في موطنها كنتاكي ، لتنتظر زوجها بعد انتهاء جلسات المجلس .

وقد أمدنا هذا الانفصال بالدليل المكتوب من لنسكون وماري على حب كل منهم للآخر . ولدينا أربعة خطابات من لنسكون . وخطاب واحد من ماري ، تبين لنا تريننا كيف أنها على الرغم من عدم اتفاقهما في كثير من الأحيان ، كان يتفقان معاً في الشعور بالحنين كل منهما إلى الآخر ، بل أكثر من هذا فقد تشاركا معاً في عواطفهما نحو أطفالهما .

إن خطابات لنسكون إلى زوجته لا يمكن أن تسمى خطابات غرامية ملتهمة . فلقد كتب إلى زوجته يقول إنه سئم « أن أبقى في هذه الغرفة القديمة وحدي » . ولقد حاول أن يجد جوارب لتلامي « قدمي الصغير ليدى العزيز » . كما تمني لزوجته أن تكون قد تخلصت من الصداع . وكتب لها عن خوفه من

أن تكون ، بصحة جيدة وازدادت سمته وصغر سنك كأنك تنتظرين الزواج مرة أخرى . وطلب منها أن تزن نفسها وتخبره بوزنها ، كما تحدث عن أولاده فقال « لاتجلى الأحباء الصغار ينسون بابا ، ووقع خطاباتك ، المحب الأكبر ، وهو الشيء الذى إن لم يكن شعراً عاطفياً ، فعلى الأقل يعتبر رسالة رقيقة وعائلية من رجل إلى زوجته .

وعندما اتخذ لنكولن مقعده فى الصفوف الأخيرة كعضو جديد بالمجلس فى دورته الثالثة عشر ، كان واحداً من أقل الأعضاء معرفة بالجهاز التشريعى . وفى القاعة أيضاً جلس رجال عديدون من الذين صنعوا التاريخ أو كانوا على وشك صنعه .

كان من أبرزهم الرئيس السابق للولايات المتحدة جون كوينسى أدامز ، عضو الأحرار البالغ من العمر أربعين عاماً ، ثائر ومغرم بوطنه يفوق لنكولن نفسه فى نقده المفتوح للرق . وكان لنكولن إذا أدار رأسه ويساراً أو يمينا استطاع أن يلمح ألكسندر ستيفنس من جورجيا الذى أصبح نائباً لرئيس الولايات المتحدة ، وأندرو جونسون من ولاية تنسى الذى أصبح فيما بعد نائباً لرئيس الجمهورية تحت رئاسة لنكولن ، ودافيد ويلموت من بنسلفانيا وهو واحد من مؤلفي شرط ويلموت الإضافى ضد الرق ، وكان من أكثر أعضاء الكونجوس فى المجادلة . ولم يكن أحد من الجالسين فى تلك القاعة يتخيل أبداً أن هذا العضو الجديد من إلينوى الخضراء ، وهو الذى لم يكن يعرف أبداً ما الذى يفعله يديه وقدميه الكبيرتين ، سيصبح يوماً ما زعيماً لهم .

ولقد كانت هناك عدة مسائل محلاً للنزاع فى الدورة الثالثة عشرة



للكونجرس . لكن أشد القضايا إثارة كانت الحرب المكسيكية ، وازدياد النزاع الطائفي حول الرق ، بل تداخلت المشكلتان معاً في بعض الأحيان .

حصل لنكون على مقعده عام ١٩٤٧ مع انتهاء الحرب المكسيكية تقريباً . ولكن على الرغم من الانتصارات التي تمتع بها كان الإنهاك الذي خلفته الحرب مازال باقياً . وأكثر من هذا فإن الرئيس بولك ، كان ديموقراطياً وجعله هذا لا يتمتع بثقة « الهويج » .

انشغل لنكون بعضوية لجنتين على الأقل من لجان الكونجرس . وقد كان لفت النظر الوحيد الذي تلقاه حتى من جرائد إلينوى نفسها يتعلق بتبنيه « قرارات المكان » Spot Resolutions الذي كان يهدف بها إلى إرغام الرئيس بولك على التسليم بأن (المكان) الذي أريق عليه أول نقطة من دماء الحرب كان فعلاً أرضاً مكسيكية . ويصم هذا الأمريكيين بأنهم معتدون في نزاع غير عادل ومازال المؤرخون حتى الآن يبحثون عن إجابة هذا السؤال الهام . لكن الذي يجب الإشارة إليه ، أنه لا لنكون ولا جريدة (سانجامو جورنال) أظهروا ارتياحهم في تقبل العجرفة المكسيكية عند بدء القتال . وبينما كان لنكون يكره الحرب في كل الأوقات طوال سني عمره ، فإن مناوراته في تلك الأزمئة ساعدت حزب الهويج في تقوية استراتيجيته التي ترمي إلى تحطيم شعبية الرئيس بولك والديموقراطيين ، ليتسنى انتخاب رئيس جمهورية من الهويج في انتخابات الرئاسة المقبلة .

ولكن الأثر السريع الذي تركته (قرارات المكان) هي أن أصبح أبراهام لنكون واحداً من أقل أعضاء الكونجرس شعبية في المجلس وحتى في ولايته ، بل في مقاطعته كلها . وكثير من أصدقاء أبراهام وجيرانه قتلوا

أو جرحوا في الحرب . وقد توسل بيلي هيرندون في كل رسائله إلى شريكه لنكون أن يخفض من نغمة هجومه ، لكن لنكون أصر على معاداته للحرب ومعاداته لبوالك . ومضى في الدعاية ضد الديموقراطيين .

ومرة أخرى ، لم يكرس نفسه (للسياسة العملية) وحدها ، فقد أعد مشروع قانون يهدف إلى تحرير العبيد في مقاطعة كولومبيا مقدماً دليلاً مبكراً على وطنيته التي كانت تهدف إلى التخلص من تلك الرذيلة بطريقة محافظة وبوسائل غير عنيفة . ولكن مجهوداته لم تسفر عن شيء .

عاد لنكون إلى سبرنجفيلد مرة أخرى بعد حضور الجلسة الثانية للمجلس . وأقام مع ماري وأولاده في بيتها المتواضع مؤملاً أن يحصل على وظيفة عامة ذات مركز قوى . وعندما عرضت عليه سكرتارية أراضي أوريجون ، وهو مركز لا يفرى على الإطلاق دفعته ماري ، وهي التي لم تكن لديها الرغبة في المعيشة بالغرب الموحش البعيد ، على اتخاذ قراره بعدم قبول هذا المركز ، وشعر لنكون وقتها بأن حفله قد تحطم إلى الأبد في ميدان السياسة .

وعاد من جديد وهو حزين إلى ممارسة القانون وليقضى عدة سنوات كلها تفكير وهوده .

وفرت محكمه الدائرة الثامنة القضائية في المقاطعة التي تشرف على مساحة قدرها ١٢ ألف ميل مربع من براري إلينوى ، حياة متنقلة لنكون ، وأخذته وظيفته من بلد إلى أخرى ، وأبعدته عن بيته بالأسابيع بل حتى عدة شهور في وقت واحد . وقابل في طوافه العواصف الثلجية والسيول المنهرة ، كما قابل الجو المنعش والسماء الصافية .

وكان يمتطي في رحلاته حصاناً ، وغالباً ما سافر في عربة صغيرة دائمة الصرير أثناء سيرها وكان يضع شالاً حول كتفيه الرفيعتين ، ودائماً وأبداً . كان في يده كتاب . وفي عام ١٨٥٠ كان يسافر أحياناً بالسكة الحديدية ، وظل يقرأ حتى تمكن من الكتب الستة الأولى ليوكيدس في الهندسة معتقداً بحق أن الهندسة تساعد على تركيز أى عقل من العقول . كما أنه قرأ ونظم الشعر .

وفي المدن والقرى المختلفة التي كانت تنعقد فيها المحكمة ، تقابل مع القضاة وبعض الشخصيات الأخرى ، يغزلون الحيط ويتناقشون في السياسة ويلقون النكات حتى منتصف الليل . كان لسكون حياة الجماعة وتخلص من سوداويته ليقص القصص و يروي النكات .

لم يكن لسكون حتى ذلك الوقت قد بلغ الذروة المالية التي كانت ستأتيه فيما بعد ، عندما تقاضى أكبر أتعاب استحقاقها عن جدارة وهي خمسة آلاف دولار من شركة السكك الحديدية المركزية بالينوى . ولكن لعله شعر بارتياح أكثر عندما ترفع عن أرملة كانت تطالب بحقوقها في التعويض عن فقد زوجها ، وكان أحد المحتالين قد استولى بدون وجه حق على هذا التعويض . وقد رفض لسكون وقفها أن ينال أجراً على هذه المرافعة .

وكانت قضية داف أرمسترونج المشهورة ، قضية أخرى رفض فيها أن يتقاضى بنسأ واحداً ، وكان أرمسترونج الصغير ، ابن جاك وحنأ أرمسترونج صديق لسكون منذ أيام نيو سالم ، متهماً بالقتل . ولقد أقسم الشهود أنهم رأوا داف في ضوء القمر الساطع يضرب جيمس متزكار د بطعنة نجله ، وكان الشاهد الرئيسي يدعى ألن ويعمل في طلاء المنازل .

وكان لنسكون أ كثر من « محام ماهر » ، في مثل هذه المناسبات . . لقد كان بارعاً . فعندما استمع إلى ما قيل ، التفت لنسكون إلى الخلفين وقال في قوة . « سأريكم الآن أن قول هذا الرجل أن هوقة الكذب لأنه لم ير أرمسترونج يضرب متزكار بطعنة نجله ، ولم يشهد هذا القتال على ضوء القمر المكتمل ، لأن القمر لم يكن في السماء تلك الليلة . وبالتقويم الصحيح أثبت لنسكون صدقه إلى أكل حدود الإقناع . لم يكن القمر مضيئاً خلال الساعة التي حدث فيها ذلك الحادث وكل هذه الضجة . . ولهذا فإن أن لم ير ما قاله من أنه رأى خلال « ضوء القمر الساطع » .

وحلل نسكون للمحلفين بهدوء وعناية كل الدلائل التي أثبتت براءة موكله . واختتم مرافعته بكلام لم يستطع كل الحاضرين مقاومته . « أيها السادة . أقف أمامكم هنا دون انتظار لمكافأة ، لمصلحة هذه السيدة التي تجلس هناك » وأشار لنسكون إلى حنا أرمسترونج والدة داف التي كانت تنتحب بقوة « التي غسلت قصاتي المتسخة عندما لم يكن لدى نقود لأدفعها لها » . وقص بعد ذلك فترة شبابه في نيو سالم وكيف أن والد ووالدة داف أرمسترونج كانا غاية في الكرم مع شاب مفلس تماماً احتاج يوماً ما إلى طعام ومأوى . وقال إنه يعتقد أن ابناً لهذين الوالدين لا يستطيع أن يرتكب جريمة ما .

وفاضت حنا أرمسترونج بالعواطف كأنسكون نفسه ، وجاء قرار المحلفين يقضى بأن داف برىء بعد تلك المرافعة القوية التي أداها لنسكون . وعندما سمعت القاعة « غير مذنب » قال لنسكون : أنا أصلي لله لأن هذا الدرس قد يأتي في النهاية بدرس عظيم له وللجميع . . لكن جريمة التقويم Almanac Murder كانت مازالت تنتظر لنسكون بضع سنين أخرى وهو

يتنقل مع الدائرة القضائية في عام ١٨٥٠ تحت البرد والضباب والمطر والشمس .

درس لنكولن وفكر وثابر على استكمال شخصية رجل السياسة الذي لا ينسى. ذلك الرجل المحب للخير، بعينه العميقتين ، وفكره الثاقب ، رغم أنه لم يكن أنيق الملبس، ينطلقونه المرتفع الذي يصل إلى رقبة حذائه . ويبيجامة الصفراء المصنوعة من القائلة ، التي كان يرتديها في المنزل والحدائق .

الفصل الحادي عشر

بيت منقسم

« فقدت اهتمامي في السياسة، ولكن هض اتفاق ميسوري أعاد لي ذلك الاهتمام
مرة أخرى » .

أ. لنكولن

كن العداء بين الولايات الجنوبية التي كانت تعترف بنظام العبيد
والولايات الشمالية التي منعت فيها تجارة الرقيق لأكثر من أربعين سنة قبل
الحرب الأهلية . وكان هناك اتفاق يحفظ التوازن بين الولايات . ففي
عام ١٨٢٠ كانت في الاتحاد اثنتان وعشرين ولاية - إحدى عشرة منها تباع
الرقيق ومثيلاتها تحرره . وعندما دخلت ولاية « مين » الاتحاد كانت تحرر
الرقيق ، بينما دخلت ولاية ميسوري كولاية تبيحه .

وعلى كل حال فقد كان (التعهد المقدس) الذي بمقتضاه كان الجزء من
لويزيانا المشتركة ، والتي لم تكن قد أصبحت ولاية بعد ، والذي يقع على
خط ٣٠° ٣٦' قد منع فيه الرق نهائيا . كان هذا التعهد من أهم أسباب التهيئة
(لاتفاق ميسوري) .

تقدم السناتور ستيفن أ . دجلاس في ١٨٥٤ إلى مجلس الشيوخ بمشروع
هو الأمة ، وزاد من حدة التوتر بين الشمال والجنوب وجاءت لائحة كنساس-
نبراسكا لتنقض اتفاق ميسوري ، وثار من جديد السؤال المرير الذي
يتساءل عن الحدود التي توضع لتحديد امتداد نظام العبيد .

تمت الموافقة على اقتراح دجلاس في الكونجرس بعد شهر من الجلسات
النارية وسمح لمواطني كنساس ونبراسكا وكلاهما شمال الخط المتفق عليه
ليحددوا بأنفسهم رغبتهم لأن يكونوا إما ولايات حرة وإما ولايات مبيحة
للرق . وقد خاف الرجال أمثال لنكولن من انتشار الرق مرة أخرى
واعتبرت اللائحة الجديدة نقضا (للعهد المقدس) بأن هذه المنطقة يجب أن
تظل بلا رقيق إلى الأبد .

وسرعان ما أصبحت كنساس مسرحا لاصطدامات عنيفة بين رواد
مشجعي الرق والداعين لتحريره ، واندفعوا إلى الأراضي على ظهور الخيل
والعربات مسلحين بالمسدسات والمدى الكبيرة ، وكل جانب يود أن يسيطر
على الانتخابات التي ستقرر مصير العبيد تبعاً لشعور الأهالي .

ولكن قبل أن يبدأ السلب واقتال وإشعال الحرائق في (كنساس
الدائمة) انتشرت حرب الخطابة حول اللائحة الجديدة في كل البلاد . ولم
يستطع لنكولن أن يرى كل هذه المحاولات وكل هذا النضال حول مسألة
حيوية دون الانضمام إليها بصوته ومنطقه . ورأى أن حزبه القديم ، حزب
الطوبى يتداعى ويتفرق بسبب هذا النزاع . ولاحظ أن هناك حزبا قويا
جديدا أسسه رجال أطلقوا على أنفسهم (الجمهوريون) يبرز كل يوم تقدما
في مقاومته انتشار موجة إباحة الرق .

أبطأ لنكولن في الانضمام إلى الجمهوريين « المتطرفين » ، لكنه كان أبطأ
في الهجوم على لائحة كنساس - نبراسكا .

وتقدم لنكولن إلى عضوية مجلس الشيوخ لكنه انهزم في ٨ فبراير
عام ١٨٥٥ في المجلس التشريعي لولاية إلينوى . وفي العام التالي آمن بضرورة



أنضمناهم إلى الجمهوريين لإحساسه بوجوب مقاومة الرذيلة المتزايدة مقاومة فعالة . وفي ٢٩ مايو ١٩٥٦ لم يكن هناك أدنى شك حينها وقف لنكون ليقول إن الأزمة كانت تحطم الأمة جميعها . في ذلك التاريخ وقف لنكون في بلومنجتون ، عند إعلان ميلاد الحرب الجمهورى فى إلينوى رسمياً والتي خطاباً مؤثراً إلى درجة أنه نوم مستمعيه مغنطيسياً . فقد نسي كل المستمعين وحتى مخبرو الصحف أن يسجلوا كلمة واحدة من ذلك الخطاب . ولقد أصبحت خطبته الحماسية هذه أشهر خطبه ، وهى التى عرفت بالخطبة الضائعة

Lost Speech

وكتب بيل هيرندون فيما بعد ، وهو الذى جلس يستمع إلى لنكون مذهولاً :

« لقد استمعت أو قرأت كل خطب المستر لنكون العظيمة . وفى رأى أن خطبة بلومنجتون كانت أجل أعمال حياته . فإنه ببساطة طرح مشكلة الرق على بساط السياسة بأسلوب السياسى ، دون الإشارة إلى الحق الأبدى . هنا ولد لنكون من جديد . كانت لديه الحية لتحول جديد . لقد توقدت الشعلة التى خبا نارها . واشتعل فى نفسه حماس لم يكن معهوداً فيه وبرقت عيناه بالإلهام » .

نحى هيرندون جانباً قلبه والورق الذى اعتاد أن يسجل عليه كلمات لنكون « وعاش فقط فى إلهام الساعة » . فقد أحس هو ومن معه بالنار والقوة والحياة تسرى فيهم إثر سماعهم خطاب لنكون . ووجد الكلمات القوية الرنانة تلحق بصدق عميق فوقهم .. « الصلب الثقيل الصعب والنتوء الذى يظاھر السخط .. هو المشكلة .. » كان أبراهام لنكون يحمل في بلا هوادة على العدو ، وكما قالها هيرندون بنفسه « لو كان طول مستر لنكون

سنة أقدام وأربع بوصات ، ففي بلومنجتون ذلك اليوم كان طوله سبع أقدام ، بل ربما أكثر .

وبالرغم من عدم وجود نص مكتوب للخطبة ، فإن أنباء تأثيرها على الجمهوريين المجتمعين في إلينوى انتشرت شرقاً بسرعة . وبعد ثلاثة أسابيع عندما انعقد المؤتمر الوطني للجمهوريين في فيلادلفيا لاختيار قائمة رئاستهم الأولى حصل لنكولن على ١١٠ صوتاً كمرشح الحزب لنائب الرئيس . وكان حظه كبيراً ليصبح نائباً للرئيس المختار جون فريمونت . وفي الانتخابات التي تلت هذا حذف اسم لنكولن ورشح بدلاً عنه ويليام ل. دايتون في نيويورك .

عندما سمع لنكولن بقصة الـ ١١٠ صوتاً قال في ذهول وتأفف : « أظن أنني لم أكن المقصود . لعل في ماسوشيتس رجلاً عظيماً آخر يدعى لنكولن وأظن أنه هو ... » وكان من حسن حظ لنكولن أنه لم يكن المرشح لأول قائمة ضعيفة للجمهوريين . بل إنه من حسن حظه مرة أخرى - في تاريخه البعيد - أن فريمونت هزم أمام المرشح الديمقراطي جيمس بوكنان ، وكان الجنوب يهدد بإشعال نار الحرب الأهلية الأمريكية في حالة وصول فريمونت إلى البيت الأبيض . وقد يعني هذا أموراً خطيرة للأمة ، لأنه في عام ١٨٥٠ لم يكن الشمال موحداً وكفوا المقاومة تلك الحرب .

وبعد يومين فقط من انتخاب بوكنان للرئاسة ، تقدمت محكمة الولايات المتحدة العليا تحت رئاسة روجر تاني بقرار يقضي بأن الزنجي « بعيد جداً عن مستوى الرجل الأبيض حتى يعتبر مواطناً في محكمة تطبيق القانون ... » . وقد أثار هذا العناصر المناهضة للرق في الشمال وازدادت حرارة الحرب الباردة بين المعسكرين المتنافرين .

وكان سباق لنكون عام ١٨٥٨ للوصول إلى مجلس الشيوخ أكبر مجهوداته خلال الأعوام الأربعة الأخيرة . وكان السناتور دجلاس ، وقد قاربت مدته الثانية على الانتهاء خصمه المرتقب . والحقيقة أن لنكون كان يواجه خصماً مشهوراً وقوياً مما جعل المعركة بينهما حامية الوطيس .

وقبل ترشيح لنكون في المؤتمر العام للجمهوريين في سبرنجفيلد في ١٦ يونية ١٨٥٨ ، ألقى لنكون خطاباً أمل فيه أن يظل في ذاكرة الجميع إن كانت كل أعماله قد انمحت . وقد كانت خطبته (بيت منقسم) House Divided صريحة إلى أبعد الحدود وجريئة بحيث جعلت كل أصدقائه ، عدا هيرندون ، يتوسلون إليه ألا يلقيها . وقال له هيرندون كأنه يتكهن بالمستقبل ... ، لنكون . ألقى هذه الخطبة تجملاً رئيساً .

وهاهي بعض كلمات ذلك الخطاب الذي ما زال يرن كأنه ناقوس صارم ...
« لا يمكن أن يقف بيت منقسم على نفسه . أنا أعتقد أن هذه الحكومة لا تطيق أن تبقى نصف الأمة عبيداً والنصف الآخر حراً . أنا لا أتوقع أن ينحل هذا الاتحاد ولا أتوقع أن يسقط هذا البيت . ولكنني أتوقع أن ينتهي هذا الانقسام . »

وبينا أمدت هذه الكلمات كثيرين في الشمال بالشجاعة ، حركت هذه الكلمات نفسها الغضب العميق في الجنوب والتفوا حول ستيفن أ. دجلاس . كمحاولة لإثبات أن لنكون رغب في إثارة حرب أهلية . وقام دجلاس . وهو السياسي المحنك فلم يطالب بأكثر مما طالب به لنكون . وعرف أنه لا بد من تكريس كل الجهود لهزيمة خصمه الطويل ذى الأطراف الطويلة لأنه لم يكن هو الذي يبغض خصمه حقاً . وعندما سمع دجلاس بترشيح لنكون لعضوية مجلس الشيوخ قال إن لنكون من بين كل أعضاء حزب « الهويج ، سبرنجفيلد » هو أحسنهم وأكثرهم أمانة .

عندما عاد دجلاس إلى إلينوى لتعيد الولاية انتخابه ، كانت رحلته رائعة . كان رجلاً غنياً مفرط الذكاء قليل الحجم ، يسافر من بلدة إلى أخرى عادة في عربة خاصة من عربات السكة الحديد تصحبه زوجته الثانية . أبريل كاتس دجلاس الرائعة الحسن ، الذي كان ملبسها الرشيق حديث عاصمة الأمة كلها . وعلى إحدى عربات القطار المسطحة وضع مدفع براق من النحاس اللامع يقف عليه حراس في زيهم الرسمي . وعندما كان القطار يشرف على مدخل إحدى المدن يتلقى هذا المدفع يعلن للوطنيين أن ستيفن أ . دوجلان العظيم سيلقي خطاباً . وكان أبراهام لنكولن يشعره المشمت يركب في إحدى عربات الركاب بنفس القطار . فلم يكن عنده لا المال ولا الرغبة في منافسة خصمه في هذه المظاهرة . وكان لدى كل من المرشحين نوع خاص من الجاذبية ، ولكن يقال إن لنكولن أوضح « أنك تستطيع أن تسخر من كل الناس بعض الوقت . ومن بعض الناس كل الوقت . لكنك لا تستطيع أن تسخر من كل الناس كل الوقت . . . »

تبع لنكولن السناور دجلاس من مدينة إلى أخرى أول الأمر ، وكان يليق خطبه عندما يدعى إليها أو يخطب وحده في المجتمعين . وبدأ له أنه قد يكون عملياً أكثر إذا شارك منافسه نفس المنصة . وتعدى لنكولن منافسه في عدة مناسبات . ولم يجد دجلاس مفرأ من تحديه بعد أن وجد خسارته المحتملة بدت أكثر من مكسبه .

هذا ما حدث في سبع مدن من ولاية إلينوى هي أوتارا - فريبورت - جونسبورو - شارلستون - جالهورج - كولينس ، وهي المدن التي سعدت ببعض وقفات التاريخ الأمريكي المشرقة .

جاءت الحشود بالقوارب وعربات تجرها الثيران والخيول والعربات

- ١٣٤٠ -

الصغيرة والقطارات الخاصة ، بل على الأقدام ، وراوا مواكب الشعل والفرق الموسيقية وباقات حسناً من الفتيات الجميلات .. وحلقت الأعلام فوق رؤوسهم وسمعوا الهتافات والشعارات، وأكلوا وشربوا أطيب الطعام . وقفوا تحت الشمس المحرقة في أوتواوا . وتحت رذاذ المطر العنيف في فريبورت .. وفي طقس جالسبورج اللطيف . جاموا وذهبوا وتمتعوا وتضايقوا وسروا وضحكوا واستمعوا ثم سروا مرة أخرى . لم يكن هناك شخص ما يستطيع أن يقدم لها عرضاً أكثر تشويقاً من هذا .

كان دجلاس لبقاً ، يلبس عادة سترة زرقاء أو بيضاء وقيصاً رعاشاً وصديرياً قصيراً مع بنطلون أحسن حياكته ليناسبه تماماً وحذاءه يبرق من اللمعان . كان وفير المعرفة ، عنيفاً مناقشاً فصيحاً واثقاً من نفسه مكبراً كالثعلب .. كعجبان السمك ناعم الملبس سريع الانزلاق من المآزق . أما لنسكون الذي كان يعلو بمقدار إحدى عشرة بوصة كاملة على دجلاس القصير القامة ، فكان يلبس سترته الداكنة السوداء بأكمامها القصيرة التي لا تصل إلى رصغيه ، وقيصاً يبدو عليه القدم ، وربطة عنق دائمة الاعوجاج . وكان دائماً يضع شالاً رمادياً قديماً ويمسك بمظلة منتفخة . ولكن عندما كان أحدهما يبدأ الكلام كانت الآلاف الملتفة حول المنصة تنسى مظهرهما الخارجي بل حتى تنسى أنفسهما . فإن اثنين من أعظم المناقشين في عصرهم يعملان فوق ما في طاقة عقليهما ليفوز أحدهما بثقة المستمعين .

وإذا كان دجلاس ثعلباً ، فإن لنسكون كان بحق هو صائد الثعلب . فلقد سأل لنسكون في فريبورت سؤالاً وضع بمهارة فائقة .. سأل دجلاس كيف يستطيع شعب أية أمة قانونياً أن يمنع الرق قبل وضع دستور للدولة ؟ . وكان لنسكون يعرف الإجابة المنتظرة من دجلاس . وعرف أنها كفيّلة



بإسقاطه إن لم يكن في هذه الانتخابات ، فعلى الأقل في الانتخابات الأكثر أهمية عام ١٨٦٠ .

وأجاب دوجلاس بفصاحة أن أية أرض تود تحرير عبيدها تستطيع هذا بإقرار قوانين لاتخاذ هذا النظام . وخرجت آهات الاستحسان تعقياً على هذا الرد الذي بدا بارعاً لكن انكولن أيقن أنه كسب صراعاً هاماً يعرفه هو ، فلقد أصبحت تلك الإجابة تعرف فيما بعد « بمشروع فرييورت » الذي أنزل قيمة الديموقراطيين الجنوبيين وأفقد دجلاس نحو ثلث مؤيديه السياسيين . وأطاح بالديموقراطيين وجعل انتصار الجمهوريين عام ١٨٦٠ قريب التحقيق والمنال .

قام مراسلو الصحف في كل الاجتماعات السبع بتدوين النصوص الحرفية بالاختزال لسل كل كلمة قيلت . وعلى هذا فلم يكن المستمعون وحدهم هم المتتبعين لكل كلمة قيلت ، بل كذلك القراء في كل أنحاء الولايات المتحدة استطاعوا تتبعها عن طريق الصحف . وفي ليلة واحدة أصبح لنكولن شهيراً معترفاً به كسياسي وطني .

وبعد تلك الساعات المضنية فوق المنصة ، عندما استطاع لنكولن خلع ربطة عنقه وحذاءه في غرفته بالفندق ، كانت عدة خواطر مختلفة تنتابه عندما يجلس وحيداً غارقاً في لجج من أفكاره . وقد تحدث إلى لنكولن في إحدى الأمسيات — بكوننسي — الكاتب الساخر دافيدر. لوك المعروف باسمه الصحفي بترويليام ف. ناسبي ، وقال له « لم أر في حياتي وجهاً يصلوه التفكير ، ولا وجهاً معبراً ، ولا وجهاً أشد حزناً من هذا الوجه . . . » .

وقص لنكولن على لوك أنه يأمل أن يحمل الولاية على أن تدل بأصواتها ، لكنه لا يتوقع أن يهزم دجلاس في مجلس الولاية التشريعي (وهو الذي

كان ينتخب الشيوخ في تلك الأيام). وشرح للوك أن عدة مراكز انتخابية .
ضمت للدائرة بطريقة ماكره وأن تلك مناورة غير عادلة لترجيح كفة
خصومه الديمقراطيون .

وأثبت لنكولن مرة أخرى صدق تبهؤاته . فعندما اجتمع المواطنون
في يوم ٢ نوفمبر ١٨٥٨ المطير للاقتراع ، حصل لنكولن على ١٢٥,٢٧٥
صوتاً مقابل ١٢١,٠٩٠ صوتاً لدجلاس . لكن المجلس التشريعي أعطى
دجلاس ٥٤ صوتاً مقابل ٤٦ صوتاً للنكولن عند انتخابه لعضوية مجلس الشيوخ .
وعندما سئل عن شعوره بعد سقوطه في الانتخابات ، قص لنكولن
حكاية الصبي العاري القدمين الذي اصطلم في أصبع قدمه . « وكانت الصدمة
تؤلمه بشدة إلى درجة لا يمكنه معها الضحك وفي نفس الوقت كان كبيراً
على الصراخ » .

وعلى الرغم من سوء حظه الجديد فإن لنكولن ظل عنصراً ذا أهمية
بالنسبة للمواطنين في البلاد . وخلال العام والنصف التالية حاول استعادة
أعماله القانونية التي أهملها رغباً عنه خلال عام ١٨٥٨ . وظل يلقي بخطبه التي
لم تكن سياسية دائماً . وبالرغم من أن اسمه كان يذكر للرئاسة فإنه كان نافراً
حتى بالنسبة للحلم بأى منصب عال . وقد أجاب لنكولن على رؤساء تحرير
الصحف الذي كان يبدي استعدادده لمساندته بكل قوته ويجب أن أعترف بأننى
لا أظن في نفسى الكفاءة لأصبح رئيساً .. » .

وتغيرت نظرتة للموضوع ببطء في خريف ١٨٥٩ . ففي خطاب بعث
به إلى ليمان ترومبل في ٢٩ إبريل ١٨٦٠ عرض لنكولن آماله الكبار فقال
« إن طعمها في فمى بعض الشيء » وطلب من ترومبل أن لا يدع عيناً أخرى
ترى ما خطه إليه .

ولقد كان هذا التغير في قلبه وآماله بلا شك راجعاً إلى الاستقبال الرائع الذى قوبلت به خطبة لنكون فى اتحاد منتجى النحاس بمدينة نيويورك، والتصفيق الحاد الذى جاء، كتحية لزيارته غير المرسومة والتي لم يعد لها فى نيو إنجلند. وكان لنكون يحلل إمكانيات بقية الزعماء الجمهوريين فى ترشيحات الرئاسة ويحدد بعض فقط الضعف فى حظ كل منهم فى النجاح. فقد كان ويليام ه. سيوارد من نيويورك، وسالمون بشين من أوهايو، وسيمون كامبرون من بنسلفانيا، واثني من كبار رجال القضاء، جون ما كايين القاضى بالمحكمة العليا للولايات المتحدة من أوهايو، وإدوارد باتس من ميسورى، أكثر زعماء الجمهوريين احتمالاً لاختيار أحدهم كمرشح للرئاسة. لكن كل منهم حتى ويليام ه. سيوارد، أكثرهم شعبية، كانوا إما يفتقدون التأييد فى بعض المناطق الشمالية وإما أغضبوا الناخبين بتصريحات متطرفة.

ولقد ازداد التأييد الشعبى للنكون لموقفه المعارض من الرق وبالرغم من هم غير المبنية على أساس فلم يكن لنكون يود تعطيم الاتحاد بسبب مشكلة الرق، فهو لم يكن أبداً من المخربين. وقد أمده عقله الشارد بإحساس أن حظه سيكون أحسن قطعاً فى المؤتمر الوطنى للجمهوريين. ولم يكن هناك شك انه «الابن المفضل» فى ولايته. وقد ثبت هذا فعلاً فى مؤتمر إلينوى الجمهورى فى ديكاتور، عندما نال لنكون جميع الأصوات الانتخابية. وقد جاءت اللحظة الحاسمة لهذا التجمع عندما سار جون هانكس ومعه صديق يحملان قضيتين يرمزان إلى أن أبراهام قد شقهما منذ ثلاثين سنة، عندما أفى إلى بلدة ما كون التى ذهب إليها المندوبون بجنون مزج بالفرح، وبدالنكون «شاقق القضباني» كأنه الوحيد المحتمل الذى سيجمع الأصوات.

وعندما جاء الجمهوريون يتدفقون إلى شيكاغو لحضور مؤتمر الوطنى فى ١٦ مايو ١٨٦٠ بلغت الإثارة قمتها، وقد أحضر بعض المندوبين كسيوارد

فرقاً موسيقية في زى موحد . وتجمع أنصار أبراهام لنكولن من كل صوب وحذب وساروا في شارع ميتشجان محدثين ضجة تفوق تلك التي تحدثها فرقة سيوارد الموسيقية . وارتدوا قبعات وقلنسوات حديدية تبرز في ضوء الشمس نهراً وتلعب في الليل على ضوء المشاعل التي كانوا يحملونها والتي تشتعل بالكبروسين .

وبينما كان الغناء والعزف يسيران بعنف أمام بحيرة شيكاغو كانت المشروعات الخطيرة ترسم في حجرات الفندق المليئة بالدخان للحصول على النصر بكل أنواع الحيل المشروعة أو غيرها . وكان من بين أهم منظمي الحملات الانتخابية تارلو ويد ، زعيم نيويورك السياسي يكافح من أجل سيوارد ، وسيمون كاميرن زعيم بنسلفانيا السياسي يقاتل من أجل نفسه .

اختار لنكولن أن يبقى في سبرنجفيلد لكن منظمي معركته وعلى رأسهم القاضي العظيم دافيد دافيز ، الذي لف دائرة محكمة الولاية مع لنكولن ، كانوا مشغولين تماماً كانشغال المنافسين الآخرين .

وقد أرسل لنكولن برسالة إلى منظميه . « لا ترتبطوا بعقود تقيدي » .

وانتظر لنكولن الأمين بصبر في سبرنجفيلد . ولعله لم يكن يعلم بما يدبره أصدقاؤه لمصلحته ، فقد عقدت الاتفاقات وبينها وعود هامة بالمناصب الوزارية في الحكومة الجديدة . لكن الخير جاء عن طريق هذه المناورات السياسية . وقد المواطنون الأمريكيون الخسارة التي سوف تصيبهم إذا خسر لنكولن . وكانت أصعب دورة جرت في تاريخ البلاد لاختيار رئيس أمريكي .

تركزت أهمية المندوبين بعد هذا على المبنى الخشبي الواسع الذى أقيم فى سرعة من أجل المؤتمر . وأحيط من كل جوانبه بالضجة المعتادة التى تشهدها كل المؤتمرات السياسية ، وألقيت خطب الترشيح وهى قصيرة فى تلك الأيام . وفى وقت قصير دخل المندوبون للإدلاء بأصواتهم .

جرت الجولة الأولى . . وحصل سيوارد على ١٧٣ صوتاً مقابل ١٠٢ للنكولن . بينما حصل كامبيرون على ٥٠٤ صوتاً ، وشين على ٤٩ صوتاً ، وباتس ٤٨ صوتاً . . فى حين ذهبت أصوات ٤٣ مندوباً إلى بعض المرشحين الآخرين . .

وسمع النداء « ادعوا للانتخاب !! ادعوا للانتخاب !! . . » وبدأت الجولة الثانية ، وحصل لنكولن على ١٨١ صوتاً لكن سيوارد ظل يتقدمه بثلاثة أصوات ونصف .

وعاد نداء « ادعوا للانتخاب !! ادعوا للانتخاب !! . . » يدوى من جديد فى المندوبين .

كانت الأصوات الكفيلة بقبول الترشيح لا تتعدى ٢٣٣ صوتاً . وفى الجولة الثالثة قفز لنكولن ليصل إلى ٢٣١ صوتاً . وكان فى حاجة إلى صوت ونصف ليحرز النصر . .

وقفز مندوب أوهايو واقفاً . . « أنا أقف (هه) ياسيدى الرئيس (هه) لأعلن تغيير أصوات أوهايو الأربعة من مسترشين إلى مستر لنكولن . . »

وحدثت ضجة كبرى فى الجمع عندما فرح المندوبون وصفروا ولوحوا بقبعاتهم فى الهواء وأعطيت إشارة لرجل كان ينتظر على سطح القاعة فشد حبلاً صغيراً فانطلق المدفع النصر يدوى فى الفضاء .

وفي مكتب جريدة (الينوى ستيت جورنال) في سبرنجفيلد ، كان
لنكولن وبعض أصدقائه ينتظرون بأقصى ما يمكن التمسك به من حدود
الصبر . . . وبغأة وصلت البرقية . . . لقد نجحنا . النصر من عند الله . . .

وعندما رقص جيرانه المخلصون من الفرح وغنوا وتواثبوا ، قال
لنكولن بهدوء . . . « أيها السادة . . . حسن جداً : هناك في منزلنا سيدة
صغيرة قد تكون أشد اهتماماً بكل هذا الموضوع مني أنا شخصياً . وإذا
عذرتمونني . . . فسأحمل إليها هذه البرقية لتراها . . . »

لا يمكن لإنسان أن يتنبأ بنتيجة مائة في المائة . وبدا حظ الجمهوريون
ممتازاً بعد أن انشق الحزب الديمقراطي (وبعض الفضل يرجع إلى المناورة
الماكرة التي قام بها لنكولن في فريبورت) . كان ستيفن أ . دجلاس مرشح
الديموقراطيين الشماليين . وكان جون ك . ريكز يدج مرشح الديموقراطيين
الجنوبيين ، ولم يقلق أحد بشأن جون بيل الذي ساندته حزب سمي نفسه
الاتحاد الدستوري .

وعندما أشرق فجر يوم الانتخاب التاريخي في ٦ نوفمبر ١٨٦٠ والجنوبيون
يهددون بحرب أهلية ، اندفع المواطنون إلى صناديق الانتخابات والجو
مشحون بالانفعال والإثارة ، والكل يحس أن أكثر من انتخاب يلوح
في الأفق .

فاز لنكولن . صحيح أنه لم يفز بأغلبية كبيرة ، لكن بعدد كبير من
الأصوات . وكانت نتيجة الانتخابات النهائية ١٨٦٦٠٤٥٢ صوتاً للنكولن ،
و ١٣٧٦١٠٩٥٧٨١ لدجلاس ، و ٨٤٩٧٨١٠ لبريكنريدج ، و ٥٨٨٨٧٩٠ لبيل .
وانتصر لنكولن بعد كفاح مرير بينه وبين دجلاس .

أثبت أبراهام لنكولن الذي ولد في كوخ خشبي أن أمريكا فعلاً هي بلد

الفرصة السانحة . وعلى مرمى البصر أمام لنكولن كانت ترقد المسؤوليات .
التي لم يحملها إلا بضعة رجال على أكتافهم . وعلى لنكولن أن ينمي عقله
وقلبه بل روحه أيضاً ليكون أهلاً لهذا الحمل . وعلى مرمى بصره كان المجد ،
وهو الذي كان سيصبح زعيماً لكل بني وطنه ، وفي نفس الوقت كانت
المأساة التي قسمت قلوبهم بسبب الحرب الأهلية . كان هو الرئيس الجديد
للولايات المتحدة الأمريكية . وأصبح مما لا شك فيه أن ماري لنكولن
قد نالت كل ما تمنته وأصبحت سيدة البيت الأبيض . . السيدة الأولى
في البلاد .

الفصل الثاني عشر
لاحقاً نحو أحد

« أنا أعلن لكم وداع المحب .. »

أ . انسكرلى

حزم لنسكولن حقائبه بنفسه وعزونها الى « أ . لنسكولن — البيت الأبيض — واشنطن » ، وأجر محل إقامته في سبرنجفيلد وقام بآخر زيارة لزوجته أبيه الحبيبة ساره بوش لنسكولن . وكان عليه أن يخبر بيلي هيرندون أن يترك عملهما المشترك كما هودون تغيير .. « فعندما أتركك الآن أشعر لى ساعود يوماً ما .. أو لا أعود على الإطلاق .. ويوم أعود سنمضى سوياً فى ممارسة القانون كأن شيئاً لم يحدث من قبل .. » .

كانت تلك هى تفاصيل حياته العادية عند رحيله . لكن فى الدقائق القليلة التى خلا لنسكولن فيها لنفسه أحس أن البلاد تكاد تتردى على شفى حرب أهلية ، رغم أنه حاول أن ينسكر هذا بينه وبين نفسه . وصلى الرئيس المنتخب بكل حواسه لمنع الأضرار الجسيمة وإراقة بحور الدماء التى قد يمكن تجنبها بمجهود كريم وكبير .

وفى صباح ١١ فبراير ١٨٦١ ، وكان اليوم هطيراً ، سار مع مودعيه فى طريق محطة سكة حديد الغرب الكبير حيث كانت فى انتظاره قاطرة صغيرة يلحق بها عربة عفش وعربة تدخين وعربة ركاب ، كانت كلها تكون القطار الخاص للرئيس .

وعندما وقف لنكون على المنصة الخلفية وأمامه صفوف متراسة
كالأمواج من المظلات والوجوه تتطلع إليه . . تحدث إلى الجموع قائلاً
في هدوء :

« أصدقائي . لا يمكن لأحد إلا في موقفى هذا أن يقدر شعور الحزن العميق
لفراق هذا المكان ولهؤلاء الناس برقتهم وعطفهم . أنا مدين لكم بكل
شئ . فلقد عشت هنا بين ظهرانيكم ربع قرن ، وخطوت سنى العمر من الشباب
إلى الكهولة . هنا ولد أبنائى وهنا وورى أحدهم التراب . لست أدرى متى
أعود وقد لا أعود أبداً . وأنا أغادركم اليوم وعلى عاتق مهمة أكبر من تلك
التي تحملها واشتظن نفسه . وبدون معونة الله لا أستطيع أن أنجح . ومعونة
الله لن أفضل . وبنيتى فيه وبتأييده لى وأنتم معى ، وكنا نعمل من أجل
الخير . . دعونا جميعاً نأمل باخلاص أن كل شئ سيكون على مايرام .
وبغناية الله التي تحكمكم وبصلاتكم ودعواتكم من أجلى ، أعلن لكم
وداع الحب . »

ودوى صفير القاطرة الصغيرة ، ودق ناقوس المحطة واختفى القطار
بطء متجهاً إلى العاصمة البعيدة التي ترقد فى قلب أمة متعبة .

وفى كتاب يتناول حياة لنكون فى ولايات الغرب الأوسط ، قد يبدو
غريباً أن نشير إلى ما حدث أثناء رئاسته . ولكن كيف يستطيع المرء
أن يصور تاريخه بكل معانيه دون هذه الإشارة ؟

وكأنا فإن لنكون عرف بطيبته المتناهية وكرهه للعنف والظلم
والحرب . ولكن الحرب أصبحت مسألة حتمية . فبعد أن انطلقت مدافع

الاتحاديين على «فورت سامتر» ، تجمعت جيوش الشمال والجنوب المتخاصمة تحت قيادة جنرالاتها ، لتبدأ المأساة الدامية التي استمرت أعواماً أربعة .

اختلفت تفاوت متطوعي القسمين المتنازعين في المثالية والشجاعة . متوسط الوزن الطول .. لون الشعر والبشرة والعيون .. حب أسرهم وبلدهم . تركوا خلفهم أمهات تنتحب وآباء غفوريين . وقتيات تربطهم بين علاقات حب .. وبالحمية التي قدفت بالملتحين من الرجال وأولئك الذين لم تنبت لهم لحي بعد ، وهم من الشباب الغض الذين كان أولى بهم أن يربطوا الشمال بالجنوب ، دخلوا في صراع مليء بالغضب ، وفي بعض الأوقات تفاخر البعض بشجاعة هؤلاء عندما قاتل بعضهم البعض .

ودوى صوت المدافع الكبيرة تقذف بالحلم لتدخل في صدور المتقدمين من الجيشين ذوى اللونين الأزرق والرمادى . ومن خلف المتاريس المصنوعة من الحجارة أو فى الخنادق جاءت أصوات البنادق وسقط الرجال وفي قلوبهم طعنات السونكى تقتلهم أو تدنيهم من الموت فيحملون إلى الصفوف الخلفية .

وجاء أعضاء الكونجرس وعقيلاتهم ليشهدوا المعركة الأولى فى بول رن وكأنهم فى نزهة ، متعة ولكن عندما وقف الجنرال جاكسون الجنونى كالحائط المتين البنيان ، وعندما بدأت قوات الاتحاد المتقدمة تراجع اضطر هؤلاء السادة وعقيلاتهم إلى البحث عن أسرع الطرق للهروب عائدين إلى واشنطن . واكتشفت الأمة أن الحرب لم تكن مجرد نزهة لطيفة .

وكان هناك بعض الغرور فى كلا الجانبين سنة ١٨٦٢ ، فخلال حملة بنينسولار ، كان القتال فى وادى شيناندواه يدور عنيفاً والدم يسيل بغزارة كما حدث فى معارك بول رن الثانية وانتيتام وفريدريكسبورج . وكانت الخسائر فادحة .

وفي عام ١٨٦٣ بدأت الحلقة تدور مرة أخرى لتتقرب من الاتحادية . وأعلن لنكولن أن العبيد « من الآن وإلى الأبد أحرار » . وسقطت فيكسبورج في أيدي قوات الاتحاد بعد فترة طويلة ورغم القتال البطولي الذي قاتلته قوات لي ، فقد حوصرت من الخلف في جيتسبورج .

وبعد أن حاول لنكولن أن يجد قائداً في ماكدويل وماك كيلن ويرنسيه وهو كروميد ، وجد أخيراً هذا القائد في الجنرال يوليس س . جران . وخلال عام ١٨٦٤ قاتل هذا الجنرال مدخن السيجار وشارب الويسكي الكبير ، قاتل بقسوة في وايلدرنس ، وفي سبوتسلفانيا كورت هاوس ، وفي كولدهاربور ، وحول ريتشموند وبتسبورج ، قبل البدء في رحلته الطويلة إلى عاصمة الاتحاد . وفي نفس الوقت كان شيرمان يقطع الطريق خلال جورجيا حتى وصل إلى البحر .

ومن بين العواصف التي أثارها المدافع كان هناك صوت حكيم يسمع بين كل حين وحين . كان صوت لنكولن يحاول جاهداً أن يهديء الحقد أثناء القتال والمعارك .

قال الصوت العظيم .

« بمنح الحرية للعبيد ، نحن نؤمن حرية الأحرار » .

وقال مرة أخرى ..

« منذ سبعة وثمانين عاماً ولد آباؤنا على هذه القارة ، وولدت أمة جديدة تتم بالحرية وتؤمن بالحقيقة التي تقول إن كل الناس ولدوا متساوين . والآن دخلنا في حرب أهلية كبيرة لم تشهدها هذه الأمة ولا أية أمة أخرى ولا يمكن أن نحتلمها » .

وأخيراً وقبل أن يسكت هذا الصوت إلى الأبد بما يزيد قليلاً على شهر واحد، جاءت كلمات خالدة لم تصدر عن أى رئيس حكومة فى أزمة كبيرة تواجهه كمثلك الأزمة .

« بلا حقد نحو أحد . وبالإحسان إلى الجميع . وبإصرار على الحق كما أمرتنا السماء أن نرى هذا الحق . دعونا نندفع بكل طاقاتنا لنهى العمل الذى تردينا فيه ، لنضمم جراح هذه الأمة ، ولنعتنى بذلك الذى حمل عبء هذه المعارك ، وبأرملته والأيتام الذين خلفهم . لنعمل كل ما فى وسعنا لتحقيق وإحياء الحق ، وخلق سلام دائم يسود بين ظهرانينا ومع كل أمم العالم » .

وعندما أعلن لنكون ميثاق الرحمة هذا فى خطابه الافتتاحى الثانى فى ذلك اليوم العنيف الممطر يوم ٤ مارس ١٨٦٥ ، خرجت الشمس من خدرها وسطع ضوءها مباشرة ليسقط عليه . وكان هذا علامة خير عند بعض المستمعين وأحسوا بأن السحب القائمة التى ظلت الحرب قد انقشعت وخرج منها نور الأمل يشع على أمة مجاهدة متفرقة .

وأخيراً عندما أجبر روبرت أ . لى وفلول قواته - وهى تعاني قلة الطعام والمعدات الطبية والذخيرة - على التسليم ليوليسيس جرانث فى أبوماتكس كورت هاوس فى التاسع من إبريل ١٨٦٥ أنقذ الاتحاد ، ولكن . . . بعد دفع الثمن الباهظ . فقد اهتز الشمال تأسفاً على الحالة بعد الحرب ، لكن الفرح سرى عبر المزارع إلى القرى والمدن . وحتى فى الجنوب بالرغم من مرارة الهزيمة كان هناك نوع معين من السعادة بالخلاص من الألم بانهاء الحرب . لم يستطع الرئيس لنكون أن يشهد وقف إطلاق النار ، فقد سقط قتيلاً برصاصة أحد المعتالين فى مسرح فورد بواشنطن ، عندما كان يجلس

مع زوجته في مقصورة يشاهدان مسرحية (ابن عمنا الأمريكي) . أطلقت الرصاصه من غدارة نحاسية وزن ثمانى أوقيات كانت بيد الممثل المهووس جون ويلكس بوث فختمت حياة الصبي الذى ارتفع من الفقر والجهل والامية ، ليصبح واحداً من أكبر ومن أشهر وأكثر الزعماء الذين عرفهم العالم رحمة . لو عاش لنسكون لكان من المحتمل أن ينقذ بلده من كثير من المراته التى لازمت سنى التعمير . لأنه من المؤكد أنه كان سيرفض الانتقام من الجنوب المنهزم : لقد أراد أن يعيد تضييد جروح الأمة . . وكانت خسارته هى خسارة أى مواطن شمالي أو جنوبي من أى سلاله ، أو من أى لون . وبموته لجع الجميع فى وفاته وفقدوا مصلحاً عظيماً كان لا يحمل الحقد لأحد مع الإحسان للجميع . .

وكما قال لنسكون عندما غادر سبرنجفيلد ، لم يكن يعرف متى يعود وقد لا يعود أبداً . وراح قطار لفه الحزن يمر خلال المدن والبلاد والقرى حيث بكاه الآلاف الذين وقفوا خلال أيام شهر إبريل ولياليه ، ليقدموا الوداع الأخير لأبراهام لنسكون الذى عاد لبلده إلينوى لينام هناك حتى يوم الحساب .

وستظل ذكراه دائماً أبداً كلما تفتح زهر الزنبق فى شهر إبريل من كل عام .

مطبعة المعرفه
ت ٣٣٩٩٠

٥٠٠٠

الناشر
عالم الكتب